تشبيهات الجنة والنار
في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور

سلامة جمعة على داود

أستاذ بقسم البلاغة والنقد

ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

﴿لو أُعْطِيَ العبدُ بكل حرف من القرآن ألف فَهْم، لم يَبْلُغْ نهايةَ ما أَوْدَعَهُ الله في آيةٍ من كتابِه؛ لأنه كلامُ الله، وكلامُهُ صِفَتُه؛ وكما أنه ليس لله نهاية؛ فكذلك لا نهايةَ لفَهْمِ كلامِه؛ وإنما يَفْهَمُ كُلٌّ بمقدار ما يَفْتَحُ الله عليه. وكلامُ الله غيرُ مَخْلُوق؛ ولا تَبْلُغُ نهايةَ فَهْمِهِ فُهُومٌ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَة﴾.

سهل بن عبد الله
البرهان للزركشي ٩/١

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، حمدا يليق بكماله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين٠

وبعد،،،

فهذا بحث موجز عن " تشبيه الجنة والنار فى القرآن الكريم"، كتبته على عَجَلٍ، والعَجَلُ مطية الخطأ ، وحديث القرآن الكريم عن الجنة والنار – ذلك العالم الغيبى الذى نؤمن به قبل أن نراه – حديثٌ واسع مستفيض، يعتمد على شتى وسائل البيان والتصوير، وما من شك فى أن اقتطاع طريق من طرق هذا البيان بالدراسة باب شائك؛ لأن شمول النظر فى طرائق البيان القرآنى عن الجنة والنار هو الطريق الأقوم إلى جمع أطراف الموضوع واستبصار شىء من أنوار الذكر الحكيم، ولكن حال دون ذلك ضيق الوقت وكثرة الشواغل، مع قلة البضاعة والعجز عن الوفاء بحق البحث وما يجب لجلال القرآن العظيم، ولكنى أحمد الله جل وعلا على ما رزق من قوة وعون ، وعلى ما نوَّر لى من حوالك السبل، وعلى ما فتح للعاجز من باب شريف يلج منه إلى معرفة شىء من أسرار كتابه المكنون.

وجاء البحث فى أربعة محاور:

المحور الأول: تشبيهات الجنة فى القرآن الكريم : تشبيه سَعَتِها ، ونسائها، ووِلْدَانِها ٠

المحور الثانى: تشبيهات النار فى القرآن الكريم : تشبيه شررها ، وطعامها ، ومائها، وشُرْبِ أهلِها ٠

المحور الثالث: ضرب المثل بالجنة والنار فى القرآن الكريم ٠

المحور الرابع: تشبيه الجنة والنار فى تذييل الآيات ٠

وإنى أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يغفر لى زلل ما خط هذا القلم العاجز ، وأن يتقبل هذا العمل بقبول حسن ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ،

وأن يرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأن يجيرنا من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأن يرزق ابنتى وقرة عينى" دُعَاء" شفاءً من عنده ؛ إنه هو الشافى ؛ لاشفاء إلا شفاؤه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم وبارك على الحبيب الشفيع والسراج المنير سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ٠

كتبه راجى عفو ربه
سلامة جمعة على داود

دسوق ، فى يوم الأربعاء
٢٤ شعبان ١٤٢٣ هـ
٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢ م

المحور الأول
تشبيهات الجنة فى القرآن الكريم

١- تشبيه سَعَة الجنة .

٢- تشبيه نساء الجنة .

٣- تشبيه وِلْدَان الجنة .

١- تشبيه سَعَة الجنة

شبه القرآن الكريم سَعَةَ الجنة بتشبيهين ، شبه فيهما عرضها بعرض السماوات والأرض فى البسطة والسعة والامتداد :

١- قوله تعالى فى سورة آل عمران " وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" (آل عمران١٣٣)٠

٢- قوله تعالى فى سورة الحديد " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " (الحديد ٢١) ٠

لما كانت السماوات والأرض أكثر شىء سَعَةً وبَسْطَةً فى هذه الحياة الدنيا جُعِلَتْ سَعَتُهُما مَثَلاً يُقَرِّبُ سَعَةَ الجنة وبسطتها تقريبا لا تحديدا، وفى تخصيص تشبيه عرض الجنة دون طولها يقول العلامة الزمخشرى عند تأويل آية آل عمران " خص العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة " انتهى كلامه ، وفى هذا التشبيه إشارة إلى أن خلق الجنة ومأأبدع الله جل وعلا فيها خلقٌ عجيب معجز بالغ فى إعجازه مبلغ خلق السماوات والأرض، وأنه دال على عظمة القدرة الإلهية دلالة خلق السماوات والأرض عليها ٠

وسبق التشبيه فى الآيتين بالدعوة إلى المسارعة إلى المغفرة والجنة، فقبل تشبيه آل عمران " وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ "، وقبل تشبيه الحديد "سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ "، ثم انصرفت الآيتان إلى تشبيه سعة الجنة دون تشبيه سعة مغفرته جل جلاله؛ إشارة إلى أنه إذا كانت الجنة وهى من خلق الله تعالى وصنعه لاتصف السماوات والأرض عرضها إلا على جهة التمثيل والتقريب لا التحقيق والتحديد، فكيف يحاط بوصف سعة مغفرته جل جلاله ؟ ولذا اكتفى البيان القرآنى فى وصف سعة مغفرته جل جلاله بالإخبار فى قوله تعالى " إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ " (النجم٣٢) من غير تشبيه ولا تمثيل؛

لأنه لا شبيه لها ولامثيل لتظل النفوس معلقة بسعة مغفرته ، عاجزة عن تقريب سعتها ؛ ليقف العقل عند منتهاه ٠

ومن عجب أن يأتى الإخبار عن سعة مغفرة الله جل جلاله عقب قوله سبحانه فى وصف الذين أحسنوا " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ٠ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ " (النجم ٣١ ،٣٢) فهل تتعلق مغفرة واسع المغفرة بصغائر الذنوب ومحقراتها وهى اللمم دون كبائر الإثم والفواحش ؟ وهل سعة المغفرة تتناسب مع غفران اللمم ؟ كان الظاهر أن سعة المغفرة يناسبها أن تُذْكَرَ مع عظائم الذنوب وكبائرها ؛ ولعل مجىء الإخبار عن سعة مغفرته تعالى عقب ذكر اللمم فيه دلالة على أن لا يغتر العبد بسعة مغفرة الله تعالى وعفوه فيقارف كبائر الإثم والفواحش ، فهو سبحانه واسع المغفرة ، ولكنه يحب من عباده أن يجتنبوا المعاصى ويجاهدوا أنفسهم فى الصبر عنها والنجاة منها.

وبين تشبه آية آل عمران وتشبيه آية الحديد فروق لطيفة ، منها :

١- قوله " سارعوا " فى آية آل عمران و" سابقوا " فى آية الحديد، وكلاهما مناسب لسياقه ؛ ففى السياق القريب لآية الحديد جاء قوله تعالى قبلها " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ " (الحديد ٢٠) ، فهذه الآية تصف المسابقة المذمومة، المسابقة التى لاينشغل فيها الإنسان إلا بالزيادة فى التمتع بالحياة الدنيا من اللعب واللهو والتفاخر والتكاثر بالأموال والأولاد ، فيجعل الانشغال بذلك همَّهُ الذى لاهمَّ له سواه ، ويقصر نظره على هذه الفانية ويترك العمل للدار الباقية ، وجاءت بعدها آية " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " (الحديد ٢١) جاءت هذه الآية لبيان المسابقة الممدوحة التى يرضاها لنا ربنا ؛ إنها المسابقة التى تصل بكم إلى "مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ"، المسابقة فى الطاعات والعمل الصالح النافع الجاد المثمر الذى يبنى الأمة، المسابقة إلى امتلاك الدنيا والسعادة فيها من أجل الفوز بالجنة والسعادة فيها، فتكون الدنيا فى أيدينا لا فى قلوبنا، ويكون لنا فيها العلو والغلبة لأن ربنا أمرنا بذلك فقال لنا " وَلاَ تَهِنُوا وَلاَتَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " (آل عمران١٣٩) " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " (المجادلة٢١)٠ ولاحظ أن المسابقة منافسة، ولاتشتد المنافسة ولاتقوى إلا إذا كانت الجائزة شيئا واحدا " جنة " ، لا إذا كانت الجوائز كثيرة، فمن لم يفز بالأولى فاز بالثانية أو الثالثة أو العاشرة أو المائة ٠٠ إلخ؛ ولهذا جاءت كلمة "جنة " بالإفراد فى آيتى آل عمران والحديد لتقولا لكل مؤمن إن لم تكن إلا ثمة جنة واحدة فلتكن من أهلها وليكن لك فيها مكان ، وفى هذا ما فيه من تقوية عزائم أفراد الأمة، وإثارة روح التنافس البناء ، ولاتسعد الأمم ولاتتقدم إلا بهذا ، أما حياة التقاعس والكسل ، فلا تبنى إلا أمة فاشلة بفشل أفرادها وتقاعسهم ٠

أما آية آل عمران فلما ذُكِرَ قبلها النهى عن أكل الربا أضعافا مضاعفة وهو مما يوبق فى النار لمخالفته أمر الله ورسوله ، ناسب ذلك الدعوة إلى المسارعة إلى مغفرة من ربكم وجنة ؛ لأن الفرار من السيئات يناسبه الإسراع إلى الطاعات ، انتقالا من الضد إلى الضد ، انتقالا مما يوجب غضبه جل جلاله والنار إلى مايوجب رضاه والجنة ، فمن نجاه الله من المعصية فليسارع إلى المغفرة والجنة٠ والله تعالى أعلم ٠

٢- حَذْفُ كاف التشبيه من آية آل عمران وذِكْرُها فى آية الحديد، وحذف الأداة من آية آل عمران يتناسب مع ما بنى عليه التشبيه فيها من المبالغة، وهذا ظاهرٌ فى حذف المضاف؛ إذ التقدير: عرضها كعرض السماوات والأرض، وظاهرٌ فى جمع "السماوات" دون إفرادها، وبهذا يمضى بناء التشبيه كله على نسق واحد ٠

وذكر كاف التشبيه فى آية الحديد يتناسب مع ذكر المضاف "كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ"، فيسير بناء التشبيه فيها على نمط الذكر، كما أن ذكر الأداة فيها يلائم ذكرها فى الآية التى قبلها وهى قوله جل وعلا "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً " (الحديد ٢٠).

٣- جمع السماوات فى تشبيه آية آل عمران وإفرادها فى تشبيه آية الحديد ، والجمع فى آية آل عمران يتناسب مع مابنيت عليه من المبالغة والتعظيم بحذف أداة التشبيه وحذف المضاف ، وإفراد السماء فى آية الحديد يتناسب مع ذكر الأداة وذكر المضاف ٠

وهذه الفروق الثلاثة بين بناء التشبيه فى الآيتين تابعة لوضع كل تشبيه منهما فى سياقه المناسب له والداعى إليه ، بحيث يكون وضع كل منهما فى غراسه وسياقه نمطا آخر من الإعجاز :

أما السياق القريب لآية آل عمران فيقتضى تشبيهها المبنى على المبالغة؛ لأن الله جل جلاله قال عن هذه الجنة التى عرضها السماوات والأرض "أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"، والتقوى درجة عالية يناسبها المبالغة فى وصف سعة الجنة، أما فى سياق آية الحديد فقال تعالى عقب التشبيه "أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ"؛ ولاشك فى أن درجة المتقين أعلى ٠

ومن الملاحظ أن الذكر الحكيم تدرج فى تشبيه سعة الجنة من الأعلى إلى الأدنى، فاستهل بآية آل عمران "وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ" المبنية على المبالغة فى وصف سعتها؛ لأن سورة آل عمران سابقة من حيث نزولها ومن حيث ترتيبها فى المصحف على سورة الحديد، فآل عمران السورة رقم ٨٩ فى ترتيب النزول، والحديد رقم ٩٤، وآل عمران الثالثة فى ترتيب المصحف والحديد رقم ٥٧، فابتدأ القرآن الكريم بالدرجة العليا من مراقى الإيمان وهى "التقوى" وبالوصف الأعلى من وصفى سعة الجنة وهو "وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ"؛ ليجِدَّ المؤمن فى الارتقاء إلى درجة التقوى والعمل لنيلها؛

فإن لم يبلغها فليثبت على ما حصل من درجة الإيمان بالله ورسله؛ فلا يُحْرَمُ من "جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ"؛ فهذا مضمار العمل والجد.

٢- تشبيه نساء أهل الجنة

خص القرآن الكريم نساء أهل الجنة بثلاثة تشبيهات، وهى على ترتيب المصحف:

١- قوله تعالى فى سورة الصافات " وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " (الصافات ٤٨، ٤٩) .

٢- قوله تعالى فى سورة الرحمن " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " (الرحمن ٥٦ – ٥٩) .

٣- قوله تعالى فى سورة الواقعة " وَحُورٌ عِينٌ ٠ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ" (الواقعة ٢٢، ٢٣).

التشبيه الأول: فى سورة الصافات وسياقه قوله جل جلاله فى شأن عباد الله الْمُخْلَصِينَ " إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ" (الصافات ٤٠ – ٥٠)، ثم عقب تعالى على هذا النعيم المقيم بقوله "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ" (الصافات:٦١) فجعلت الآيات نعيم عباد الله المخلصين مُكْتَنَفاً بين فضل الله تعالى أولاً وعملِهم آخرا، فضلُه فى ذكر إكرامه لهم فى قوله تعالى "فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ"، وعملُهم المذكور فى قوله تعالى "لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ"؛ حتى لا يتكل أحد على فضل الله تعالى ويقعد عن العمل؛ فإنما الفضل مع العمل؛ ولذا ورد

مع التشبيه هنا ذكر إكرامه تعالى لهؤلاء المخلَصِين فقال تعالى: "فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ"، ولم يذكر هذا الإكرام مع أى من التشبيهين الآخرين.

المشبه فى سورة الصافات نساء أهل الجنة المَكْنِيّ عنهم بـ" قَاصِرَات الطَّرْفِ " أى قاصرات نظرهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ، وكنى عنهن بأنهن " عِينٌ " أى نجلاوات العيون واسعاتها مع شدة جمالها، وهذا من سيما الحسن فى المرأة ٠ ووصفهن بـ " عِين " بعد وصفهن بـ " قَاصِرَات الطَّرْفِ " احتراس من أن يتوهم أن قصرهن الطرف على غير أزواجهن لضَعْفٍ أو فتورٍ فى عيونهن ، بل لفرط حيائهن وعفتهن ووفور أدبهن، وذلك ما يطمح إليه الرجل الصالح فى المرأة أن تكون ذات عفة وجمال، والعفة مقدمة على الجمال لتقديم وصفهن بـ "قَاصِرَات الطَّرْفِ" على وصفهن بـ "عِين"، وكأن نكد الرجل – وإن كان فى الجنة – أن تَمُدَّ زوجُه عينيها إلى سواه ٠ والاحتراس بـ "عِين" لم يأت فى تشبيه سورة الرحمن " " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ"؛ لأن تشبيه سورة الصافات يركز على وصفهن بالحياء مع الجمال، وتشبيه سورة الرحمن يُرَكِّزُ على وصفهن بالحياء مع البكارة ؛ فناسب الأول ذكر سعة العيون ، وناسب الثانى ذِكْرُ بكارتهن وذِكْرُ الفُرُش التى بطائنها من إستبرق " مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ" (الرحمن٥٤)؛ ووصفهن بالبكارة مما يناسب ذكر الفراش، وهذا لم يذكر فى تشبيه سورة الصافات ، وكأن كل تشبيه منهما يصف صورة من هذا النعيم، أو حالا من أحوال أهل الجنة مع الحور العين، ففى الصافات حال المؤانسة والمسرة بالنظر إلى الحور العين دون أن يتعدى ذلك إلى كونهن على الفرش مُهَيَّآتٍ لتَمَتُّعِ أزواجِهن بهن؛ ولذا ذُكِرَ فى سياقه أن عباد الله المخلصين "عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ" ثم قال سبحانه "فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ" أى يتجاذبون أطراف الحديث أنسا وسمرا وسرورا ، وهذا حال لا يلائمه ذكر الطمث، بخلاف سورة الرحمن فإن ذكر الفرش التى بطائنها من إستبرق

ووصف الحور بأنهن لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان، كله يصف مزيد تهيئهن ليتنعم بهن "من خاف مقام ربه" ٠

والمشبه بـه البَيْضُ المكنون ، والبَيْضُ جمع بَيْضَـة ، والمكنون المصون الذى لم تمسه الأيدى، ووجه الشبه بين النساء والبيض المكنون الصفاء والنقاء وحسن الرونق، وفى إيثار تشبيههن بالبيض المكنون مناسبة ؛ لأن التشبيه قائم على وصفهن بالعفة والحياء مع الجمال والحسن ؛ وفى البيض معنى الجمال والحسن ، وفى "مكنون" معنى الستر والصيانة المناسب للحياء والعفة. وفى طرفى التشبيه مايدل على الستر والخفاء ، ففى المشبه كلمة "عندهم" أى أنهن مصونات فى كنفهم محميات محفوظات ، ووصف البيض بأنه مكنون فيه دلالة على الستر والصيانة ٠ وهذا الستر والخفاء الذى يسكن طرفى التشبيه مناسب لحال عباد الله المخلَصِين ؛ إذ الإخلاص أمر خفى لا يطلع عليه إلا علام الغيوب ، فهم أتقياء أخفياء ، ستروا أعمالهم عن الخلق لشهود جلال الخالق ، فكان وصف نسائهم فى دار الخلود من جنس ماأحبوه فى الدنيا ، وهو الستر والخفاء وصيانة أعمالهم وأحوالهم عن شهود المخلوقين؛ فجاء التشبيه فى حاق موقعه ، ولو حاولت أن تضع مكانه تشبيه سورة الواقعة "وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ" لحاولتَ مُحالاً كما كان يقول الإمام عبد القاهر ؛ ففى اللؤلؤ – لا سيما المكنون – من البريق واللمعان والظهور ما يبهر، وهذا لا يناسب حال المخلصين الذين يسترون أعمالهم ويستخفون بها عن أعين الرقباء؛ الذين أخلصوا لله تعالى ولم يملأوا الدنيا ولم يشغلوا الناس.

التشبيه الثانى: تشبيه سورة الرحمن ، وسياقه قول الله جل وعلا "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٠ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ كَأَنَّهُنَّ

الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" (الرحمن ٤٦ – ٦٠).

السورة كلها تعداد لنعم الرحمن على الإنسان مفتتحة بنعمة العلم " علم القرآن " ومختتمة بما يوصل إليه العلم من الخوف من الله تعالى " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ" "وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ"، وتمت السورة بوصف ما أعد الله تعالى من النعيم لمن خاف مقام ربه ۝ ولاشك فى أن لمجىء التشبيه فى سياق تعداد نعم الرحمن أثرا فى اصطفاء عناصره بما يلائم مقام " مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ"، ومن معالم ذلك أن الله جل وعلا جمع فى المشبه به أمرين " الياقوت – والمرجان " لأن من خاف مقام ربه له جنتان لا جنة واحدة ، وله " فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ " لا عين واحدة ، وله "فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ "من خاف مقام ربه ؛ فجاء المشبه به "الياقوت والمرجان" من جنس ذلك العطاء المزدوج، ومن فيض ذلك الكرم المضاعف ؛ وبهذا كان التشبيه هنا امتدادا لسياقه وجزءا من نسيجه ، ولم يرد هذا الازدواج فى جانب المشبه به فى تشبيه سورتى الصافات والواقعة (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ – كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) ، بل قام المشبه به فيهما على شىء واحد وهو البيض فى الأول واللؤلؤ فى الثانى، ووصف كل منهما بأنه مكنون ، وهذا فرق واضح فى صورة المشبه به فى التشبيهات الثلاثة ۝ ولإيثار التشبيه بالياقوت والمرجان فى سورة الرحمن إلْفٌ بقوله تعالى قبل ذلك "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"۝

والمشبه فى قوله " كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " الضمير العائد على نساء الجنة، والتشبيه يركز على بياض النساء المشوب بحُمْرة ؛ لأن المرجان أحمر، وفى التشبيه بالياقوت دلالة على الصفاء ، فصفاؤهن وبياضهن مشوب بحمرة، أما فى تشبيه سورة الصافات فركز التشبيه على بياضهن المشوب بصفرة لأن البيض المكنون كذلك ، فنساء أهل الجنة لسن على صورة واحدة من الحسن، بل هن فى الحسن ألوان وأفانين، ولكل وارث من ورثة جنة النعيم ما تتعشقه نفسه منهن وتصبو إليه ۝

والتشبيه فى سورة الرحمن ينفرد عن التشبيهين الآخرين بأنه يشبه حال النساء وهن على الفرش التى بطائنها من إستبرق، ولم يذكر فى سياق هذا التشبيه أن أهل الجنة متقابلون على سررهم يقبل بعضهم على بعض آخذين بأطراف الأحاديث بينهم؛ لأن هذا الوصف لا يتلاءم مع كونهن على الفرش، وإنما ذُكِرَ هذا التقابل على السرر والإقبال بالحديث فى التشبيهين الآخرين، ففى سورة الصافات " فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ "(الصافات ٤٣، ٤٤) "فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ" (الصافات ٥٠)، وفى سورة الواقعة "عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ" (الواقعة ١٦)؛ ولذا لم يذكر فيهما الطمث ولا الفُرُش، وهذا من لطائف الذكر الحكيم.

وأداة التشبيه فى آيتى الصافات والرحمن " كأن " ، وفيها – كما ذكر البلاغيون – قوة وتأكيد للتشبيه لأن " إنَّ " أم أدوات التوكيد ٠ وفى "كأنَّ" إعلام بالتشبيه فى أُنُفِ الكلام ؛ لأن المتكلم معها بانٍ كلامه على التشبيه من أول الأمر بخلاف الكاف فيكون التشبيه معها بعد بناء الكلام بداية على غير التشبيه ، وهذا من الدقائق القارَّة فى بطون أسفار البلاغة ؛ وللإمام الرازى عند تفسير آية سورة الرحمن ملحظا فى توجيه قوة التشبيه بـ " كأن " لم أجده عند غيره ولم أجده فى كتابه " نهاية الإيجاز " لأنه كان معنيا فيه بتلخيص كلام الإمام عبد القاهر ، ذكر الرازى أن قولنا " زيد أسد " إذا دخلت عليه أداتا التشبيه الكاف وكأن ، كان بينهما فرق من حيث الأثر اللفظى الذى يَحْدُثُ بهما فى المشبه به "أسد"، فهو مع " كأن " باقٍ على إعرابه وهو الرفع تقول "كأن زيدا أسدٌ" ، فلم تُحْدِثْ " كأنَّ " فيه أثرا لفظيا ؛ فالأسد متروك على حاله وحقيقته وزيد يشبهه فى تلك الحال ، بخلاف الكاف فإنها تحدث فيه أثرا لفظيا بتغيير إعرابه من الرفع إلى الجر بكاف التشبيه الداخلة عليه فى قولك " زيد كالأسد " ، قال الرازى " والعمل اللفظى مع العمل المعنوى ؛ فكأن الأسد مع كاف التشبيه عُمِلَ به عَمَلٌ ليشبهه زيد ، ولاشك فى أن زيدا إذا شُبِّهَ بأسد باقٍ على حاله أقوى مما إذا شُبِّهَ بأسد لم يبق على حاله ، وكأن من قال: "زيد

كالأسد"، نزل الأسد عن درجته فساواه زيد، ومن قال "كأن زيدا الأسد" ، رفع زيدا على درجته حتى ساوى الأسد ٠ قال الرازى: "وهذا تدقيق لطيف" انتهى كلامه ملخصا ٠

وهو كلام عال جدا ، ولم أجده فيما وقفت عليه من كتب البلاغة ، إلا أن ما ذكره فى التشبيه بالكاف أجد فى نفسى منه شيئا ؛ لأننى لا أرى فضلا فى أن يُشْبِهَ زيدٌ أسداً نزل عن حقيقته ودرجته وأصابه شىء هبط به حتى أدركه زيد فى الشجاعة !! وهل يصح أن يُنْظَرَ بمثل هذا الفَهْم إلى ما جاء فى الذكر الحكيم من التشبيه بالكاف ، كما فى قوله جل شأنه " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ " (الرحمن٢٤) فيقال إن السفن العوالى الضخام الجارية على صفحات الماء تشبه الأعلام وهى الجبال العالية المرتفعة الضخمة المزالة عن حقيقتها الهابطة عن درجتها التى عُمِلَ بها شىءٌ حتى أشبهتها السفن ؟ إن جلال التشبيه فى أن تبقى الأعلام على حقيقتها وصفتها الثابتة من الارتفاع والضخامة والصلابة وما يملأ النفس جلالا ومهابة عند رؤيتها لِتُشَبَّهَ بها الجوارى المنشآت فى البحر وهى على صفتها الثابتة وحالها الذى لم يتغير أو يتبدل ٠ وهلا قال الإمام الرازى فى توجيه هذا العمل اللفظى الذى عملته كاف التشبيه فى نحو " زيد كالأسد " : إن زيدا لما فاق جنسه فى القوة والشجاعة حتى أدرك الأسد فى ذلك ، حصل فى الأسد ذلك الأثر اللفظى – وهو الجر– إعلاما بأنه دخل على الأسد فى صفته فردٌ من غير جنسه ؛ فبقى الجر فى الأسد أثرا باقيا يدل على ذلك ، ومهما يكن فإن هذه التعليقة التى علقتها من كلام الرازى تبقى فكرا جديدا فى توجيه كون التشبيه بـ "كأن" أقوى وآكد من التشبيه بالكاف ؛ لأنى لم أجد هذا الكلام فى كتب البلاغيين ، وهو حقيق بالنظر والتأمل ، وهذا الذى وجدت فى نفسى منه صوابٌ يحتمل الخطأ ، وعسى أن يهتدى غيرى فيه إلى ما هو أعلى وأزكى ٠

والتشبيه الثالث : فى سورة الواقعة ، وسياقه قوله تعالى " وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ٠ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ٠ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٠ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ٠ وَقَلِيلٌ مِّنَ

الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (الواقعة ١٠ – ٢٤).

السورة فى جملتها تفصيل للأصناف الثلاثة التى يكون عليها الناس إذا وقعت الواقعة : السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ۝ وجاء التشبيه فيما أعد الله تعالى للسابقين المقربين فى جنات النعيم ؛ ولذا كان فى تشبيه نسائهم من علو طبقته ما يلائم علو طبقتهم وسبقهم وقربهم من الله سبحانه ، وحسبك باللؤلو المكنون صفاء وبهجة للنفس وسرورا للناظرين، وهذا يلائم صفاء السابقين المقربين ظاهرا وباطنا وقولا وفعلا وحركة وسلوكا، هكذا كانوا فى حياتهم الفانية وبمثله يكون نعيمهم من الحور العين فى حياتهم الباقية فى الجنة؛ ولذا قال سبحانه بعد التشبيه "جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"؛ والجزاء من جنس العمل، وفى التشبيه باللؤلؤ المكنون مناسبة أخرى لقوله تعالى " أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ"؛ إذ المقربون من الله جل شأنه يكونون هم وأزواجهم على أكمل صورة ، وصفاء اللؤلؤ المكنون يلائم ذلك ۝

ووُصِفَ نساء أهل الجنة فى سورة الواقعة بـ " حور عين " ولم يوصفن بأنهن " قاصرات الطرف " لأن الحَوَرَ فى عيون واسعات تتلألأ يلائم تشبيههن باللؤلؤ المكنون فى الحسن والصفاء ۝

وقوله " وحور " معطوف على قوله " ولدان مخلدون " أى يطوف عليهم ولدان مخلدون وحورٌ عين ، وفى طواف الولدان المخلدين والحور العين على أهل الجنة مسرة تُسْعِدُ النفس وتُمْتِع العين ؛ ولذا ناسبه ذكر الحور بما فيه من جمال ظاهر ، ثم ذكر سعة العيون واللؤلؤ المكنون ، وهذا كله متاع ظاهر وحسن تراه العين فيملأ النفس روعة ؛ لأن النفس تطرب لرؤية الجميل فضلا عن إطالة النظر إليه ۝

وسورتا الصافات والواقعة مكيتان ؛ ولعل هذا يفسر ذكر الخمر فى سياق التشبيه فيهما ضمن نعيم أهل الجنة ، فقبل تشبيه سورة الصافات قال الله جل وعلا " يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ " ، وجاء التشبيه بعد ذكر الخمر مباشرة فقال جل وعلا " وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " ۝ وقبل تشبيه سورة الواقعة قال ربنا " يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَايُنزِفُونَ " ثم جاء التشبيه بعد ذلك فى قوله تعالى " وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ " ؛ ولما كانت سورة الرحمن مدنية لم يرد فى سياق تشبيهها ذكر الخمر ، وكأن ذكرها فى المكيتين فيه تلطف وإيناس لمن آمن ودخل فى دين الله وكان عهده بالخمر ومعاقرتها قريبا؛ فآنسه الله تعالى بأنه سيبدله فى الجنة خيرا منها ؛ ترغيبا له فى نبذ الخمر قبل أن ينزل الأمر الصريح بتحريمها ، فشوقه إلى خمر الجنة التى تباين فى صفتها كل ما ألف فى خمر الدنيا من المفاسد والمعاطب ، وهذا المسلك فى فقه بيان الذكر الحكيم – إن صَحَّ – حقيقٌ أن يضاف إلى ما ذُكِرَ فى تدرُّج القرآن الكريم فى تحريم الخمر ، فيكون تزهيدهم فى خمر الدنيا بإبدالهم خمرا أفضل منها فى الآخرة لاصداع فيها ولانزيف ، هو الخطوة الأولى من خطوات التدرج فى تحريم الخمر ، والخطوة الثانية أن فيها اثماً ومنافع للناس ولكن إثمها أكبر من نفعها " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا " (البقرة٢١٩) ، والخطوة الثالثة هى الباتَّةُ القاطعة فى تحريم الخمر بالأمر الإلهى باجتنابها فى قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (المائدة٩٠) ۝ والله تعالى أعلم ۝

ومما يزيد أواصر القربى بين مسالك البيان فى السور المكية فى سياق تشبيهى الصافات والواقعة ذلك الجناس اللطيف فى الصافات بين " بَيْضَاء " فى صفة الخمر و" بَيْض " فى صفة النساء ، وبين " مَعِين " فى صفة الخمر

و"عِيْن" فى صفة النساء فى تشبيهى الصافات والواقعة ، وهذا يجعل النسب بينهما قريبا جدا ، فضلا عن التشابه البَيِّن فى وصف الخمر فيهما ٠

وتشبيه نساء أهل الجنة فى سورتى الصافات والرحمن يقول للنساء المثليات الفضليات : عليكن بالعفة والحياء مع الجمال المصون المكنون، واعلمن أن اعتزازكن بالعفة والحياء قرين اعتزازكن بالحسن والجمال، بل مُقَدَّمٌ عليه ؛ لأن التشبيهين قَدَّمَا العفة والحياء على الحسن والجمال، ففى تشبيه سورة الصافات " وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ٠ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " بتقديم قصرهن الطرف عفة وحياءً على كونهن عينا جميلات واسعات العيون ، وعلى كونهن كالبيض المكنون حسنا وصفاء ؛ لأن العفة والحياء تُقَدَّمَان على الحسن والجمال ، وفى تشبيه سورة الرحمن " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٠ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٠ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " قدم قصرهن الطرف عفة وحياء على وصفهن بالجمال فى تشبيههن بالياقوت والمرجان ٠

وفى التشبيهات الثلاثة من الرَّوْحِ والراحة والنفاسة والصون مالايخفى، فنساء أهل الجنة " كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " " كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " "كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ " ؛ ولاشك فى أن هذه الجواهر النفيسة من الياقوت والمرجان واللؤلؤ مناسبة للنساء ؛ لأنهن يعشقن الحلى والجواهر وينشأن فى الحلية، فهى من الصفات اللائطة بقلوبهن المحببة إلى نفوسهن ٠ والله تعالى أعلم ٠

٣- تشبيه وِلْدَان أهل الجنة

لولدان أهل الجنة فى الذكر الحكيم تشبيهان ، شبهوا فيهما باللؤلؤ فى صفائه ونقائه وحسنه ، فهما متفقان فى هذا ، وينفرد كل منهما بشيات خاصة تتلاءم مع سياقه ، والتشبيهان على وفق ترتيب المصحف :

١- قوله تعالى فى سورة الطور "وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ" (الطور ٢٤) ٠

٢- قوله تعالى فى سورة الإنسان " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً " (الإنسان١٩) ٠

التشبيه الأول: فى سورة الطور ، وسياقه " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٠ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٠ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ٠ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ٠ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ". (الطور ٢١ – ٢٥) ٠

المشبه غلمان الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان حين يطوفون عليهم فى الجنة ، والمشبه به اللؤلؤ المكنون فى صفائه ولمعانه وحسنه وإسعاده للنفس وإمتاعه للعين ودلالته على ما هم فيه من سعادة وسرور ونعيم لايحول ولايزول ٠ ووُصِفَ اللؤلؤ بالمكنون ليكون أدل على صفائه وحسنه ، والسياق هنا أشبه بسياق تشبيه النساء فى سورة الواقعة "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ٠ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ٠ لَايُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ٠ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّايَشْتَهُونَ٠ وَحُورٌ عِينٌ٠ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ" (الواقعة ١٧ – ٢٣)؛ فشبه النساء باللؤلؤ المكنون فى سورة الواقعة وشبه الغلمان به أيضا فى سورة الطور ، وكل من النساء والولدان فى السورتين يطوفون على أهل الجنة ، ولما ذكرت الفاكهة واللحم فى سورة الواقعة وصفتا

بأنهما "مما يتخيرون " و " مما يشتهون " ، ووصفتا فى سورة الطور بماوصفتا به فى سورة الواقعة :

ففى سورة الطور "وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ".

وفى سورة الواقعة "وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ"

ووصف النساء فى سياق التشبيه فى السورتين بأنهن "حور عين":

ففى سورة الطور "مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ".

وفى سورة الواقعة "وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ".

ومن ثم جاء التشبيه باللؤلؤ المكنون فى السورتين متحدا فى تلك المداخل الموطئة له والقائمة بين يديه ، وهذا تناسب يجمع بين السياقين ۝

ويفترق التشبيه فى سورة الطور عنه فى سورة الواقعة من حيث نوع الأداة وتعريف المشبه به وتنكيره :

أما من حيث نوع الأداة، فهى فى تشبيه سورة الطور "وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ" ، أداة التشبيه " كأن " الدالة على قوة الشبه، أى أن غلمان أهل الجنة بينهم وبين اللؤلؤ المكنون شبه قوى جدا ومستحكم جدا، حتى ليكاد الغلمان يكونون لؤلؤا مكنونا لفرط الشبه ۝ وأما فى تشبيه سورة الواقعة "وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ"، فأداة التشبيه الكاف الداخلة على "أمثال"، وفى ذكر أمثال هنا دلالة على أن نساء أهل الجنة بلغن فى الحسن والجمال حد الغرابة والوصف العجيب؛ لأن المثل يُسْتَعْمَلُ فى الصفة الغريبة العجيبة ۝

وأما من حيث تعريف المشبه به وتنكيره فهو فى سورة الواقعة معرف بـ "أل" للدلالة على أن نساء أهل الجنة جمعن كمالات اللؤلؤ المكنون واستوفين كل صفاته ، فصرن فرائد فى هذا الوصف العجيب؛ ولذا فإن التعريف فيه تقوية وتأكيد لما دل عليه استخدام " أمثال " من الغرابة والوصف العجيب ۝

والملاحظ أن الذكر الحكيم حين يشبه نساء أهل الجنة بشىء من الحلى والجواهر فإنه يأتى بالمشبه به معرفا بـ " أل" ، ففى سورة الواقعة "وَحُورٌ عِينٌ۝

كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ"، وفى سورة الرحمن " كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ" ولم يقل كأنهن لؤلؤ وياقوت ومرجان بالتنكير إشارة إلى أنهن استغرقن أوصاف الكمال فى المشبه به، أما فى تشبيه الغلمان والولدان باللؤلؤ فإنه جاء فى سورتى الطور والإنسان نكرة موصوفة :

ففى سورة الطور " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ" ٠

وفى سورة الإنسان "وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً" ٠

وفى التنكير دلالة على أن الغلمان والولدان – وهم خدم أهل الجنة – أخذن حظا وافرا من الصفاء والحسن صرن به إلى حال غير معهودة ، وحسنهن من جنس حسن نساء أهل الجنة ، وكُلًّا أعطى الله تعالى حسنا يلائمه وصفاء يناسبه ، وجاءت النكرة فى كل من التشبيهين موصوفة ، ففى سورة الطور "غِلْمَانٌ لَّهُمْ"، وفى سورة الإنسان " وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ"؛ فاتحد المشبهان فى البناء التركيبى ٠

التشبيه الثاني: فى سورة الإنسان فى سياق نعيم الأبرار فى الجنة الذى افتتح بقوله تعالى "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً" (الإنسان٥) ومن نعيمهم فيها " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً " (الإنسان١٩) ٠

المشبه الولدان المخلدون حين تراهم يطوفون على الأبرار فى الجنة ، وفيه قيدان جديدان ليسا فى المشبه فى التشبيه الأول ، القيد الأول : وصف الولدان بأنهم " مخلدون"، وهذا القيد دال على أن الأبرار أنفسهم مخلدون ؛ لأنه إذا كان ولدانهم مخلدين ، فهم مخلدون من باب أولى ، وهذا القيد غير القيد بالجار والمجرور " لهم " فى تشبيه سورة الطور "وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ " لأن الجار والمجرور "لهم" دال على أن الغلمان للذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ، قائمون على خدمتهم ، وسياق التشبيه فيه معنى الضم والإلحاق ، فالذرية تتبع الذين آمنوا فى الدنيا فتؤمن كما آمنوا ، والله –

جل جلاله – يلحق هذه الذرية المؤمنة بأصولها فى الجنة ليكونوا قرناء فى الآخرة كما كانوا فى الدنيا ؛ فيجتمع شملهم ؛ فتراهم يتمازحون فرحا بتنازع كأس تدار عليهم، وهذا السياق الذى فيه الضم والإلحاق ولم الشمل يناسبه وصف اللؤلؤ بالمكنون أى المصون المخزون لنفاسته ؛ يضن به أهله ولايفرطون فيه ، فهذا كله قائم على الضم والإلحاق ،وهو متناسب جدا ٠

والقيد الثانى فى المشبه : قوله " إذا رأيتهم " ، ولم يذكر فى تشبيه سورة الطور، لأن التشبيه فى سورة الطور متجه إلى وصف الغلمان فى ذاتهم باللؤلؤ المكنون، أما التشبيه فى سورة الإنسان فمتجه إلى وصفهم فى عين الرائى وما يجد فى نفسه عند رؤيتهم ؛ ولذلك التفت السياق هنا من أسلوب الغيبة فى قوله " ويطوف عليهم " إلى أسلوب الخطاب فى قوله " إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ " ولو جرى على طريق الغيبة لقال : إذا رأوهم حسبوهم ، برد الضمير إلى الأبرار ، وفى الالتفات دعوة للمخاطب وهو مستغرق فى تصور ذلك النعيم الذى تَتَقَّسَ به السياق وامتد حتى استحوذ على معظم السورة – دعوة له إلى أن ينتقل من طور السماع إلى طور الرؤية والمشاهدة ؛ وأكد السياق هذا بتكرار أسلوب الخطاب وتكرار الرؤية فى قوله تعالى " وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً " (الإنسان٢٠) ٠

وفى التقييد بـ " إذا " فى قوله تعالى " إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً " دلالة على تحقق وقوع تلك الرؤية ، وعلى أن ما قصته السورة من نعيم أهل الجنة لايصرف أبصارهم عن النظر إلى الولدان الذين هم كاللؤلؤ المنثور ؛ لأن النظر إليهم نعيم من النعيم ٠

والتشبيه فى سورة الإنسان يتجه إلى إفادة الانتشار زمانا ومكانا، أماالانتشار زمانا فيدل عليه وصف الولدان بأنهم "مخلدون" أى باقون على ذلك الحسن أبدا ، دائمون عليه سرمدا ، لا يكبرون أبدا ، ولاينتقلون من مرحلة الولدان إلى مرحلة الشباب ثم الرجولة ثم الهرم والشيخوخة ، على خلاف سنة

الله تعالى التى كانوا عليها فى الدنيا، وأما الانتشار مكانا فيدل عليه اختيار وصف اللؤلؤ بأنه منثور أى متفرق غير مجتمع٠

والتشبيه فى سورة الطور يصور الغلمان وهم مجتمعون؛ ولذا لم يوصف اللؤلؤ هناك بالانتشار، وإنما وصف بالمكنون ، والتشبيه فى سورة الإنسان يصورهم وهم متفرقون؛ ولذا وصف اللؤلؤ فيها بأنه منثور، فاستوعب تشبيه القرآن الكريم لهم الحالين: حال اجتماعهم وحال تفرقهم، وشبهوا باللؤلؤ فى الحالين ٠

ووقف الخطيب القزوينى وشراح التلخيص عند دلالة بعض الأفعال المنبئة عن التشبيه كـ "علمت، وخلت، وحسبت " ونحوها، فقال الخطيب "وقد يُذْكَرُ فعلٌ ينبىء عن التشبيه كـ " علمت " فى قولك : علمت زيدا أسدا ، ونحو هذا، إذا قُرِّبَ التشبيه، فإذا بُعِّدَ أدنى تبعيد قيل: خلته وحسبته، ونحوهما " انتهى كلامه ، فجعل الخطيب هذه الأفعال ليست أدوات للتشبيه وإنما هى منبئة عنه ومشيرة إليه ودالة على قربه إذا استعملت "علمت" ونحوها مما يفيد اليقين والتحقيق، أو بُعْده إذا استعملت "خلت وحسبت" مما يفيد الظن ، وذكر شراح التلخيص أن أداة التشبيه فى هذا كله مقدرة ، فقولك : علمت زيدا أسدا ، دال على المبالغة فى التشبيه لتيقن الاتحاد بين زيد والأسد ، وقوة الشبه بينهما، وقولك : حسبت زيدا أسدا ، دال على ضعف التشبيه ، أى أن المشابهة بين زيد والأسد ضعيفة لدلالة "حسبت" على الظن وإشعارها بأن تشبيهه بالأسد ليس بحيث يُتَيَقَّنُ أنه هو، بل يُظْنُّ ذلك ويُتَخَيَّلُ ٠ هذا حاصل كلامهم، وهو جيدٌ بالغ ، ولكنْ لو حمل التشبيه فى قوله تعالى " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً " على ما ذكروا لدل على أن الشبه بين الولدان المخلدين واللؤلؤ المنثور أمرٌ مظنون غير متيقن ، مع أن هذا الشبه قوى جدا ومؤكد ، بدليل استخدام " كأن " فيه فى تشبيه سورة الطور " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ "، و" كأن " عَلَمٌ على قوة الشبه ووثاقته، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، ولذا يدل الفعل " حسب " فى آية سورة

الإنسان على قوة التشبيه ووثاقته ، فالولدان فى الجنة يكونون على صفة من الحسن بالغة تجعلهم فى عين الرائى لؤلؤا منثورا على جهة التحقيق ٠ والله تعالى أعلم ٠

وقد أصل الخطيب هذا الأصل من دلالة " حسب" ونحوها على ضعف التشبيه بعيدا عن النظر فى مواضع هذا الفعل فى تشبيهات الكتاب العزيز كما فى آية سورة الإنسان ، وكما فى آية سورة النمل " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ " (النمل٨٨) ، أى تحسبها كأنها جامدة ، وهى تمر مرا كمر السحاب ؛ وبناء على ذلك أقول إن دلالة "حسبت " فى التشبيه على الظن وعدم اليقين ليست مطردة فى كل موضع؛ لأنها تأتى للتحقيق واليقين فى بعض المواضع ، والحَكَمُ فى ذلك هو المقام والسياق ، ولو ربط الخطيب دلالة " حسب " على قرب التشبيه وضعفه بالسياق ، لكان أقوى وأقرب إلى الضبط والتحقيق ، فتدل على القرب وعلى ضعف التشبيه فى مثل " حسبت زيدا أسدا " ، هذا المثال الذى لم يتجاوزه شراح التلخيص إلى غيره من الشواهد من آى الذكر الحكيم والحديث النبوى الشريف والشعر والنثر، وتدل "حسبت" على قوة التشبيه وتحققه فى مثل الآيتين الكريمتين : آية سورة النمل ، وآية سورة الإنسان ؛ فالسياق والمقام وقرائن الأحوال هى الحكم العدل فى التوجيه إلى أى الدلالتين ٠ والله تعالى أعلم ٠

نظرة فى مجمل تشبيهات القرآن الكريم للنساء والولدان فى الجنة:

بالنظر فى مجمل تشبيهات القرآن الكريم للنساء والولدان فى الجنة يتبين أن البيان القرآنى له فى ذلك على صورتان، الصورة الأولى: أن يجمع لأهل الجنة التنعم بهما جميعا، والصورة الثانية: أن يخص التنعم بأحدهما دون الآخر ٠

الصورة الأولى: اجتماع التنعم بهما، وجاءت فى موضعين:

الأول : فى سورة الطور "مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ" (الطور ٢٠)، فذكر تنعمهم بالحور العين، ثم قال " وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ

كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ" (الطور ٢٤) ، فذكر تنعمهم بالغلمان المُشَبَّهِينَ باللؤلؤ المكنون، ولم يشبه الحور العين ٠

والثاني: فى سورة الواقعة " يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ٠ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ " (الواقعة ١٧ ، ١٨) ، فذكر تنعمهم بالولدان المخلدين، ثم قال سبحانه " وَحُورٌ عِينٌ ٠ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ " (الواقعة ٢٢ ، ٢٣)، فذكر تنعمهم بالحور العين، وشبه الحور العين باللؤلؤ المكنون، ولم يشبه الولدان المخلدين ٠

والحاصل أنه جمع التنعم بهما فى سياق تشبيه سورتى الطور والواقعة، إلا أنه فى سورة الطور شبه الغلمان دون النساء ، وفى سورة الواقعة شبه النساء دون الولدان ، فما سر هذه المفارقة ؟ ولِمَ لم يجمع تشبيه النساء والولدان فى الموضعين كما جمع التنعم بهما ؟

والتأمل فى سياق التشبيه فى سورتى الطور والواقعة يفتح باب الجواب:

ففى سورة الطور انقسم الناس "يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً ٠ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً" ثلاثة أصناف: المكذبون، والمتقون ، والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، وأوجز السياق فى جزاء الصنفين الأولين؛ فاكتفى فى جزاء المكذبين بقوله تعالى " فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٠ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ٠ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً ٠ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٠ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ٠ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَاتَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الطور ١١ – ١٦)، فلم يصف أغلالهم ولا طعامهم ولا شرابهم ولاغير ذلك مما يمتد وصفه فى سياقات أخرى كما فى سياق سورة الصافات (اقرأ الآيات ٦٢ – ٧٠) وكما فى سياق سورة الواقعة (اقرأ الآيات ٤١ – ٥٦)، واكتفى فى وصف ثواب المتقين بقوله تعالى "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ٠ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٠ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٠ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ" (الطور ١٧ –٢٠)، فقوله "فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ" عام يشمل كل نعيم، ثم

خص منه اتكاءهم على السرر المصفوفة وتزويجهم بالحور العين، فلماسلك السياق سبيل الإجمال فى وصف نعيمهم، ترك تشبيه الحور العين ٠

وفى ذكر نعيم الصنف الثالث "الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ" فصل السياق نعيمهم فذكر من إكرامهم إلحاق ذريتهم بهم ، ثم التنعم بالفاكهة والكأس والغلمان والأنس بإقبال بعضهم على بعض ، فلما فصل السياق نعيمهم شبه الغلمان باللؤلؤ المكنون ولم يقتصر على ذكر تنعمهم بهم فقط؛ لأن فى تشبيه الولدان زيادة بيان وتفصيل تتلاءم مع تفصيل نعيم الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ٠

والسياق فى سورة الواقعة قريب من السياق فى سورة الطور ، فالناس أيضا فى الواقعة ثلاثة أصناف : السابقون ، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال ٠ وأخر أصحاب الشمال هنا فى مقابل تقديم المكذبين هناك، وجاء السابقون هنا فى محازاة المتقين هناك ، وأصحاب اليمين هنا فى محازاة "الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ" هناك ، فالسياق فى السورتين قريب من قريب، إلا أنه فى سورة الطور أوجز فى جزاء الصنفين الأول والثانى وفصل فى الثالث، وهنا تفصيل فى جزاء الأصناف الثلاثة ممتد رحيب يستغرق معظم السورة، واتجه السياق فى جانب السابقين وأصحاب اليمين فى سورة الواقعة إلى تمييز ثواب كل تمييزا دقيقا يوافق مرتبته ودرجته، فثمة ألوان من النعيم انفرد بها السابقون لم تُذْكَرْ فى تعيم أصحاب اليمين، كالنعيم بالولدان المخلدين ، ولذا اكتفى بذكر الولدان فى جانب السابقين دون تشبيه ؛ لأنهم لم يُذْكَرُوا أصلا فى نعيم أصحاب اليمين ٠ لعل فى هذه الإطلالة العجلى على سياق التشبيه فى سورتى الطور والواقعة ما يفتح باب الجواب عن السؤال ٠ والله أعلم ٠

والصورة الثانية من تشبيهات النساء والولدان فى القرآن الكريم، وهى أن يخص السياق التنعم بأحدهما دون الآخر ، وجاء فى ثلاثة مواضع، فى تشبيه سورة الصافات . وتشبيه سورة الرحمن – وتشبيه سورة الإنسان، فذكر فى الأول والثانى تشبيه النساء، وذكر فى الثالث تشبيه الولدان، فجاء تشبيه النساء

مرتين، وتشبيه الولدان مرة واحدة؛ وهذا مناسب؛ لأن الولدان إنما ذُكِرُوا فى نعيم أهل الجنة؛ فالعناية بالوالدن تبع للعناية بأهل الجنة ونعيمهم ٠ والله أعلم

المحور الثانى
تشبيهات النار فى القرآن الركريم

١- تشبيه شَرَر النار ٠

٢- تشبيه طعام أهل النار ٠

٣- تشبيه الماء الذى يشربه أهل النار ٠

٤- تشبيه شُرْب أهل النار ٠

١- تشبيه شرر النار

شبه القرآن الكريم شرر النار – نعوذ بالله منها – بتشبيهين فى موضع واحد، هو قوله جل جلاله فى سورة المرسلات " انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ" (المرسلات ٢٩ – ٣٤)، شبه شرر النار بالقصر مرة ، وبالجمالة الصفر مرة أخرى فى تشبيهين متتابعين ۝

ابتدأت الآيات بأمر الكفار بالانطلاق فى قوله " انطَلِقُوا " لأنهم كانوا فى حَبْسِ الحشر والحساب وأهوالهما ، فأمرهم ربُّنا بالانطلاق فاستبشروا بالخلاص مما هم فيه ، فقال لهم " إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ " فخاب رجاؤهم، وانقلب استبشارهم غما ؛ لأنهم منطلقون إلى ما كانوا به يكذبون فى الدنيا، ثم أمرهم ثانيا بالانطلاق فقال "انطَلِقُوا" فعاودهم الأمل فى الخلاص وعاودتهم البشرى، وازداد أملهم واستبشارهم هذه المرة حين أتبع الأمر بالانطلاق بقوله "إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ"، ومالبثوا إلا قليلا حتى انقلب رجاؤهم واستبشارهم خيبة أشد وحسرة أكبر، حين وجدوا ذلك الظل ذى الثلاث شعب ليس ظلا، وإنما هو دخان عظيم يحيط بهم ويرتفع فوقهم كأنه ظلة "لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ"، والضمير فى قوله "إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ" يعود على النار وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها، كما أن ما ذُكِرَ من أهوال دخانها ولهبها دالٌّ عليها ومُغْنٍ عن التصريح باسمها، فدلائلها تنبىء عنها وتخبر بها، ونظير الآية فى عَوْدِ الضمير على النار وإن لم يجر لها ذِكْرٌ قولُه تعالى "كَلَّا إِنَّهَا لَظَى" (المعارج ١٥).

ولم تصف الآياتُ النارَ ذاتَها، وإنما وصفت عِظَمَ دُخَانِها وكثرتَه وإحاطتَه، ووصفتْ عِظَمَ شَرَرِها وتطايُرَه، فكان فظاعة ما وصفت من الدخان والشرر دليلا على فظاعة النار وعِظَمِها ۝

وقدم وصف الدخان على تشبيه الشرر؛ لأن الدخان الكثيف – لا سيما إذا كان ذا ثلاث شعب – تتسع دائرته لتحيط بهم ، فهم يرونه ويختنقون منه قبل أن يصيبهم شرر النار، فإذا ما أصابهم شررها وعاينوا عظمه وثقله ووجدوه كالقصر وكالجمالة الصفر ، كانت رؤية النار أفظع ، وكانت مُوَاقَعَتُهُم إياها هولاً أشد، فالآيات تتدرج تدرجا طبيعيا: الدخان، ثم الشرر، ثم لايكون بعدهما إلا النار، أجارنا الله تعالى منها ٠

والشَّرَرُ جمع شَرَرَة ، والقصر واحد القصور وهو البناء العظيم ، ووجه الشبه فى تشبيه الشرر بالقصر العِظَمُ والطُّولُ كما ذكر الزمخشرى، ولمح الرازى فيه عدة معان أخر فتق أكمامها وهو يحقق الكلام فيما ذكره الزمخشرى فى الكشاف من أن أبا العلاء المعرى لمَّاسَمِعَ قولَ ابن عباس إن هذا التشبيه ورد فى بلاد العرب وقصورُهم قصيرةُ السَّمْك ، جاريةٌ مجرى الخيمة ، فبَيَّنَ تعالى أنها ترمى بشرر كالقصر ، فلما سمع أبو العلاء بهذا تصرف فيه وشبَّهَهُ بالخَيْمَة من الأديم ، فقال :

حمْراءَ ساطِعةَ الذوائبِ في الدُّجَى ... تَرْمِي بكُلِّ شَرارةٍ كطِرَافِ

ومن المعانى التى لمحها الرازى فى هذا التشبيه أن القصر مَأْمَنُ الرجل وموضعُ سلامته؛ فتشبيه الشرر بالقصر فيه تنبيه على أنه إنما تُوْلَدُ آفتُهُ من الموضع الذى توقع منه السلامة ، وحالُ الكافر كذلك ، فإنه كان يتوقع الخير والسلامة من دينه، ثم إنه ما ظهرت له آفة ولا محنة إلا من ذلك الدين، ومن المعانى التى لمحها الرازى أيضا أن تطاير القصر إلى الهواء أدخل فى التعجب من تطاير الخيمة؛ لأن القصر يكون مركبا من اللَّبِن والحَجَر والخشب، فكانت النار التى تطير القصر إلى الهواء أقوى من النار التى تُطَيِّرُ الطِرَاف فى الهواء، كما ذكر الرازى أن سقوط القصر على الإنسان أدخل فى الإيلام والإيجاع من سقوط الطِرَاف عليه ٠ وقد أحسن الرازى وأصاب فى لمح هذه المعانى ٠

والتشبيه الثانى فى قوله تعالى "كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ" شبه الشرر بالجمالة، جمع جَمَل، وهى الإبل، كالحجارة جمع حَجَر، والصُّفْر السُّود، قيل لها صُفْر لأن ألوان الإبل سُوْدٌ تضرب إلى الصُّفْرَة، هذا مااختاره ابن جرير الطبرى فى تفسيره ٠

وإذا كان التشبيه بالقصر ناظرا إلى العظم والطول والضخامة ، فإن التشبيه بالجمالة الصفر لايخلو عن هذه المعانى وإن روعى فيه اللون والسرعة والحركة، قال القرطبى فى تفسيره إن الشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه الإبل السود لما يشوبها من صفرة، وذكر الرازى أن ابتداء الشرر يَعْظُمُ فيكون كالقصر، ثم يتفرق فتكون القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر ٠

وجمع الشرر وإفراد القصر فى التشبيه الأول ، فجمع الشرر فى المشبه يدل على كثرته، وإفراد القصر فى المشبه به يدل على وحدته واجتماعه ليكون أشد إيجاعا وإيلاما ، وجمع جمالة فى التشبيه الثانى – مفردها جَمَل – يدل على الكثرة، وهذا يناسب حال تفرق الشرر قطعا كبيرة ، وقراءة "جمالات"، جمع جمال، كما تقول رجال ورجالات، أدخل فى إفادة الكثرة ؛ لأنها جمع الجمع.
وهذا التشبيه القائم على إعطاء صورتى الجمع والتفريق فى جانب تشبيه الشرر يوافق تصوير الدخان قبله فى قيامه على الاجتماع أولاً فى قوله "انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ " ثم التشعب إلى ثلاث شعب فى قوله " ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ"؛ وبهذا تتفق الصورتان فى وصف أهوال الدخان والشرر حال اجتماعهما وحال تفرقهما ٠

وليس المراد تشبيه شرر النار مطلقا بالقصر والجمال الصفر، بل تشبيه الشرر عندما "ترمى" به النار؛ ولذا صدر التشبيه بالفعل المضارع "ترمى" الدال على التجدد، وإذا كان الشرر المرمى بهذه الضخامة والعظم فإنه يدل على قوة اشتعال النار ودفعها ؛ لأن قوة الرمى على قدر قوة الرامى، وهل عهد الناس فى نار مهما بلغ مداها واتساعها – حتى البراكين وما تقذف فى ثوراتها

من حُمَم – أن يكون شررها كالقصر أو كالجمال الصفر ؟ لاشك أن نار جهنم أشد ٠

وحُذِقَ مفعول " ترمى " للعلم به من السياق ، أى ترمى من يكذب بها ، ولتتوفر العناية على إثبات الرمى المتجدد القوى لها حتى لا ينشغل أحد عن هذا بالبحث عن المَرْمِيّ بها مَنْ هو ؟ إذ المهم أنها يكون منها هذا الرمى القوى المتتابع ، فالحذف فرغ المجال لوصفها هى ؛ لأنه عين المراد فى السياق ٠

وعناصر التشبيهين، وهى (الشرر – والقصر – والجمال الصفر) تدل على معان لطيفة، منها:

١ – أن الشرر وهو المشبه مَخُوفٌ يتحاشاه الإنسان ويفزع منه ، بخلاف المشبه به (القصر – والجمال الصفر) فهما مما يفرح الإنسان باقتنائه ويأنس به ويجد فيه الراحة والمتعة ، فالقصر سكن يهدأ فيه المرء ، والجِمَال فيها جَمالٌ تهش له النفس ، وفيها منافع للناس ٠٠ فجعل الله تعالى مصدر عذاب الكافر يوم القيامة مما كان فيه سكنه وراحته ، وكان به أنسه ومتعته، لأنه طالما تنعم بهما فى الدنيا، جاحدا بربه، كافرا بمن أنعم عليه ، فتنقلب عناصر نعيمه فى الدنيا عذابا له يوم القيامة ٠

٢ – أن التشيهين جمعا بين عناصر متباعدة ، فشرر النار من واد ، والقصر من واد ، والجمال الصفر من واد، بل إن النار تفسدهما إفسادا، والقصر من جنس الجماد ، والجمال من جنس الحيوان ، فأعطى القرآن شبها للشرر من جنسين مختلفين ووادين بعيدين، فجاء التشبيه فيهما غريبا نادرا، وفى الجمع بين المتباعدات إشارة إلى أن عناصر الكون المتباعدة تجتمع لتعذيب الكافر تبرؤا منه وغضبا عليه؛ لأن الجليل سبحانه غضب عليه، فالقاصى منها والدانى نكال عليه ٠

٢- تشبيه طعام أهل النار

ذكر القرآن الكريم طعام أهل النار فى مواضع، منها ما جاء على غير طريق التشبيه، كقوله تعالى "فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ٠ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٠ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ" (الحاقة ٣٥ – ٣٧) وقوله جل وعلا "لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ٠ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ" (الغاشية ٦،٧) ، ومنها ما سلك طريق التشبيه ، وذلك فى موضعين :

<u>الموضــع الأول</u>: قولـه تعـالى فـى سـورة الصـافات بعـدما ذكـر عبـاد الله المُخْلَصِين وما أعد لهم فى الجنات من رزق معلوم " أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ٠ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ٠ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ٠ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ٠ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٠ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ٠ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ٠ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ ٠ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ" (الصافات ٦٢ –٧٠) ٠

شبه طلع شجرة الزقوم، أى ثمرها ، برؤوس الشياطين، تشبيها جارياً على ما استقر فى النفوس كلها من قبح صورة الشيطان ، وأنها استحوذت على القبح كله، وكان الناس ولايزالون يقولون: إذا لقيت فلانا لقيت شيطانا، ويقولن : فر كأنما فر من شيطان، فيشبهون بالشيطان لأنه مَخُوفٌ مرعب ٠

والمشـبه وهـو الثمـر هـو متـاع النظـر وبهجـة الـنفس وغايـة مـا يُرْجَـى مـن الشجر؛ ولذا تراهم يمدحون الشجرة المثمرة ذات الطلع، ويذمون الشجرة التى لا تثمر، ويضربونها مثلا للقول بلا عمل، فيقولون: قول بلا عمل كشجرة بلا ثمر، شبهت الآية الثمر الذى هو أفضل ما فى الشجر برؤوس الشياطين، فجمع التشبيه بين طرفين متباعدين؛ لأن طلع الشجر لا يخطر بالبال أن يكون فى قَرَنٍ واحد مع رؤوس الشياطين، أو أن تربطه بها رابطة ، فالطلع من واد ورؤوس الشاطين من واد آخر، ويا بُعْدَ ما بينهما !! وقَدْرٌ كبير من براعة التشبيه فى التوفيق بين هذين المتباعدين وجمعهما فى رِبْقَةٍ واحدة ٠

ثم إن الآيات لم تكتف بتشبيه الطلع برؤوس الشياطين ، وهى صورة كريهة قبيحة بمجرد النظر إليها ، فكيف إذا صار طلع شجرة الزقوم طعاما لا يجد المرء سواه، وأن يقهر على تناوله قهرا ، فيأكل شيئا قبيحا بشعا كرؤوس الشياطين ويلوكه بفمه ويستقر فى بطنه وأحشائه ، ثم لا يكتفى منه بما يسد رمقه بل يملأ بطنه كما قال ربنا "فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ"، فهذا عذاب مضاعف: عذاب بقبح المنظر عند رؤية شجر كرؤوس الشياطين، وعذاب بمجرد ذوق هذا الطعام ، وعذاب بالأكل منه، وعذاب بملء البطن، وعذاب بعد ذلك بما يحدثه هذا الأكل فى الأمعاء من ثورة وغليان " كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ" (الدخان ٤٥،٤٦) ۝

إن الأمر كله غيب، والأصل أن يشبه الغائب بالمشاهد ليتضح وتتكشف صورته، أما أن يشبه غيب لا نعلمه بغيب لا نعلمه ، وكلاهما حق ؛ لأنهما من كلام الحق جل جلاله ؛ فهذا ما نؤمن به ونتيقنه علم اليقين ، وإن قصرت عقولنا وقصر خيالنا عن الإحاطة به ؛ لأن الإيمان بالغيب أول صفة من صفات المؤمن ؛ ولهذا قدمه الله تعالى على جميع الصفات فى قوله جل وعلا " الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (البقرة ١– ٥) ۝

وافتتح الحق جل جلاله سورة الصافات بالقسم بالملائكة الصافات وغيرها على وحدانيته جل وعلا " إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ " (الصافات ٤) ، ثم جاء فى فاتحة هذه السورة ذكر الشيطان المارد " إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ" (الصافات ٦ – ١٠)، ولاحظ تلك المناسبة بين التشبيه برؤوس الشياطين فى هذه السورة وذكر الشيطان المارد فى فاتحتها ، وهذا تنادٍ وترابط

بين ما جاء فى جوف السورة وماجاء فى فاتحتها ؛ وذكر الشيطان المارد ورؤوس الشياطين مرتبط بأول السورة التى افتتحت بالقسم بالملائكة وهى من الغيب الذى نؤمن به ولم نره ، وكذلك الشيطان المارد ورؤوس الشياطين من الغيب الذى نؤمن به ولم نره ، وهذا رباط ناظم جعل الآيات لُحْمَةً واحدة ٠

ويلاحظ أن التشبيه فى آية الصافات وارد فى سياق مقابلة نعيم عباد الله المخلصين فى جنات النعيم ، فالآيات جارية على أسلوب المقابلة ، ذكرت فىَ نعيم عباد الله المخلصين ألوانا شتى إمتاعا لنفوسهم وترغيبا فى الاقتداء بهم ، واكتفت فى المقابل بذكر شجرة الزقوم وتشبيه طلعها برؤوس الشياطين، فأغنى ذلك الهول عن استيفاء أقسام المقابلة لما ذكر من نعيم أهل الجنة من الرزق والفواكه والسرر والخمر وقاصرات الطرف عين وإقبال بعضهم على بعض ٠٠ وكأن شجرة الزقوم وماشبهت به من رؤوس الشياطين وما يزيل غصصها من الحلق وهو الحميم "ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ"، هذا عذاب كاف، فحسبهم أن طعامهم شجرة الزقوم التى يشبه طلعها رؤوس الشياطين، وأنهم يشربون عليها شوبا من حميم ٠

ثم إن رأس هذا السياق الذى ينبغى أن لا تبعدنا عنه روعة التشبيه مهم جدا، وهو فرقان ما بين الاستسلام للتقليد الأعمى بلا تفكر ولاروية، والتحرر من عبودية هذا التقليد بإعمال الفكر وكد العقل : أما عباد الله المخلصون فأولئك تحرروا من ربقة التقليد وجاهدوا فى سبيل تلك الحرية حتى ظفروا بها، ولم ينخدعوا بكثرة الضالين ولا بسخريتهم واستهزائهم؛ ولذا حَرَصَ السياق على أن يعطينا فى تتمة صورة عباد الله المخلصين ذلك الحوار بين عبد من عباد الله المخلصين – وهو رمز لهم جميعا – ودِهْقانٍ من دَهَاقِنَةِ التقليد والضلال، وتأمل ذلك جيدا فى قوله سبحانه " فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ٠ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ" (الصافات ٥٠ – ٥٢) أى من المصدقين بالبعث والحساب والعقاب يوم الدين، وتأمل هذا الاستفهام ومايحمله من إنكار وتعجب يصوران هذا المصدق بيوم الدين وكأنه

خرج من الملة وهتك ستر الإجماع لاحقا بالصابئين !! " أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ" (الصافات ٥٣)، فنجاه الله من النار ، وهاهو يحث أصحابه فى الجنة على أن يطلعوا ليروا حال هذا المجادل المعاند المنكر ليوم الدين " قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيم" (الصافات ٥٤ ، ٥٥)، وأما المقلدون فإنهم استسلموا للتقليد الأعمى والضلال المبين ، فعقب الله تعالى على ما هم فيه من عذاب بشجرة الزقوم والشوب من الحميم بقوله "إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ" (الصافات ٦٩ ، ٧٠)، نَعَمْ ، قلدوا آباءهم فى الضلال؛ فكانوا من الهالكين ۝

وكان لهذا السياق أثره على التشبيهين، أعنى تشبيه نساء أهل الجنة فى قوله "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ" (الصافات ٤٨، ٤٩) وتشبيه شجرة الزقوم برؤوس الشياطين : أما المخلصون فصانوا فطرهم السليمة وحجزوا عقولهم عن أن تلوثها أفكار الضالين وعقائدهم الفاسدة ، فعقولهم عن ذلك كله فى حصن حصين ، كأنها اختبأت عن هذا التلوث ، وهذا من عطاء وصف نسائهم بـ"قَاصِرَات الطَّرْفِ "، ثم إنهم لم يكتفوا بصيانة عقولهم وفطرهم فحسب، بل نظروا واستبصروا وبحثوا وهُدُوا ، وهذا من عطاء وصف النساء بـ"عِين" أى واسعات العيون ، فامتدت أبصارهم ، ومعها بصائرهم لترى حقائق الكون ودلائل الوحدانية وأنوارها المبثوثة فى كل مكان ، فسلمت فطرهم واستقامت وكانت كأنها " بَيْضٌ مَّكْنُونٌ"۝ وأما أصحاب شجرة الزقوم فإنهم فرغوا رؤوسهم عن النظر والتفكر وأسلموها للشياطين ، وليس لشيطان واحد، فهم يفكرون بعقول الشياطين ، ويعتقدون بماتمليه عليهم ، ويتوجهون كيفما وجهتهم رؤوس الشياطين ؛ ولذا عوقبوا بطلع كأنه رؤوس الشياطين ۝

سُئِلَ أبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى (ت ٢١٠ هـ) عن هذا التشبيه فقيل له : إنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرِفَ مِثْلُه ، وهذا لم يُعْرَف ؟ فقال: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سَمِعْتَ قول القيس:

أَيَقتُلُني وَالمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

وهم لم يَرَوا الغُول قَطُّ، ولكنهم لما كان أمر الغول يَهُولُهم أُوْعِدُوا به ٠ ثم سرى جوابُ أبى عبيدة من بعده فى كتب التفسير ، كما فى تفاسير الطبرى والرازى والقرطبى وأبى حيان الأندلسى وغيرها ، وكان أثرُها بينا فى قول صاحب الكشاف " شبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهية وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس، لاعتقادهم أنه شَرٌّ مَحْضٌ لا يخلطه خير، فيقولون فى القبيح الصورة : كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يُقَدَّرُ وأهولِه، كما أنهم اعتقدوا فى المَلَكِ أنه خير محض لا شر فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة، قال تعالى " مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ " (يوسف٣١) ، وهذا تشبيه تخييلى " انتهى كلام الزمخشرى، وهذا التشبيه مع أنه كان داعية أبى عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى إلى تأليف كتابه "**مجاز القرآن**" إلا أنه لم يذكره فى كتابه وكذا بيت امرىء القيس المذكور ، ولم أجد لذلك تفسيرا أستريح إليه ٠

وهذا التشبيه هو الشاهد العَلَمُ عند علماء البلاغة لما اصطلحوا على تسميته بـ "التشبيه الوَهْمِىّ"، وعرفوه بأنه ما ليس مُدْرَكاً بشىء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أُدْرِكَ لم يُدْرَكْ إلا بها، وألحقوا به فى الاستشهاد لهذا اللون من التشبيه قول امرىء القيس:

أَيَقتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

ولمح شيخنا العلامة الدكتور محمد أبو موسى فى كتابه الماتع "التصوير البيانى" مناسبة لطيفة بين شجرة الزقوم التى طلعها كرؤوس الشياطين وحزب الشيطان المعذَّبين بذلك فى الجحيم ؛ قال شيخنا " الشجرة شجرة غريبة لم توجد على أساس القانون الطبيعى لوجود الشجر من تربة فيها حياة ونماء، وإنما هى شجرة تخرج فى أصل الجحيم، هى شجرة شاذة وغريبة؛ فناسبتها هذه الرؤوس الغريبة رؤوس الشياطين، والجمع فى كلمة رؤوس يمنح الصورة قدرا من الغزارة، فليس عليها رأس شيطان، وإنما عليها رؤوس جميع الشياطين المنبثين فى الثقلين جادين فى إفساد الوجود ، يغرسون الشر والأذى، ويقتلعون

الخير النافع ٠ طلع شجرة الضر النامية فى قعر جهنم تثمر طعاما لهؤلاء الذين كانوا يكونون جبهة الشر فى الأرض، أو حزب الشيطان ٠ هذا التشبيه فيه قدر من التهكم بأولياء الشيطان الذين يطعمون فى جهنم من شجرة طلعها كرأس وليهم " انتهى كلام شيخنا العلامة ٠

الموضع الثاني : قوله تعالى فى سورة الدخان " إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ٠ طَعَامُ الْأَثِيمِ ٠ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٠ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ٠ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ٠ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ٠ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ٠ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ " (الدخان٤٣ –٥٠) ٠

المُهْلُ دَرْدِيُّ الزيت أو مذاب الفضة أو مذاب النحاس ، أو عكر القطران أو الصديد٠ والحميم الماء الشديد الحرارة ٠ كذا ذكر علماء التفسير ٠ شبهت الآيات ما يطعمه الأثيم من شجرة الزقوم بالمُهْلِ يغلى فى البطون، وشبه غليه فى البطون بغلى الحميم ٠

النسق الشريف يصور شجرة الزقوم تصويرا مخيفا فيجعلها كلها طعام الأثيم على غير المألوف من عادة الأشجار أن يؤكل ثمرها فحسب ، أما أن تصير الشجرة كلها طعاما يبتلعه الأثيم فى جوفه ابتلاعا ، فهذا شىء خارج عن الإلف، والذى أثار هذا المعنى هو حذف المضاف؛ إذ التقدير – والله أعلم– "إن طلع شجرة الزقوم"، فضلا عما يدل عليه ابتلاع تلك الشجرة كلها ل، لا ثمرها فحسب ، من أن الجوع بلغ بالأثيم مبلغا جعله يلتقم هذه الشجرة الكريهة كلها على الرغم من سوئها وقبحها ٠

وقد مهدت هذه الغرابة الخارجة عن الإلف بتحويل الشجرة كلها إلى طعام – مهدت للتشبيه وما يقوم عليه من تحول آخر بقلبها كلها ماء حارا أو نحاسا مذابا شديد الحرارة يغلى فى البطون كغلى الحميم ، فكأن الأثيم يعذب بها مرتين: مرة بأكلها كلها وهى قبيحة كريهة ، ومرة بانقلابها كلها مُهْلاً يغلى فى بطنه كغلى الحميم ٠

المشبه ما يَطْعَمُه الأثيم فى النار من شجرة الزقوم ، والمشبه به المُهْل يغلى فى البطون كغلى الحميم ، وقُيِّدَ المشبه به بقيدين ، بقوله " يغلى فى البطون " وهو القيد الأول الذى يصور تجدد غليانه ، ولو قيل " كالمهل فقط ما أفاد هذا التجدد الذى أعطى صورة ثالثة مخالفة للإلف والعادة ، وهى تجدد غليان الطعام بعد استقراره فى البطن كهيئته حين كان فى النار ، فكأن البطون صارت آنية تتأجج النار تحتها فيتجدد غليان مابداخلها ، والعادة جارية على انقطاع الغليان بإبعاد الطعام والشراب عن النار ، فضلا عن أكله واستقراره فى البطن ٠ والقيد الثانى " كغلى الحميم " يصور قوة غليان المهل فى البطون بتشبيه غليه بغلى الحميم ، وهو الماء الحار الذى انتهى غليانه ، فهذا التشبيه قيد فى التشبيه الأول، وبهذا دخل التشبيه الثانى فى الأول وتآزرا لتشبيه طعام شجرة الزقوم فى بطن الأثيم ، وأعطيا صورة نامية ، تبدأ بالمهل ، وتزداد حدة وشدة بغليانه فى البطون ، وتبلغ ذروتها حين يشبه غليها بغلى الحميم ، وكأن حال هذا الأثيم فى سواء الجحيم تتنقل من سىء إلى أسوأ ومن خبيث من العذاب إلى أخبث ٠

وإذا كان التشبيه فى آية الصافات جمع بين متباعدين أحدهما محبب إلى النفس وهو الطلع ، والآخر أبغض ما يكون إليها وهو رؤوس الشياطين ؛ فإن هذا التشبيه فى سورة الدخان جمع بين أمور قريبة لأنها من وادٍ واحد (شجرة الزقوم – والمهل – والحميم)، كلها من الطعام والشراب فهى من واد واحد، وبهذا نجد التشبيه القرآنى قد خَوَّفَ بالجمع بين المتباعدات كما خوف بالجمع بين المتقاربات ، وعناصر التشبيه فى السورتين تلائم اسم السورة التى جاءت فيها ، فرؤوس الشياطين غيب يناسب تسمية السورة بالصافات وهى الملائكة الصافات لأنها غيب ، وكذا ما ذُكِرَ فى سياق ذلك من الشيطان المارد، وفى سورة الدخان نجد عناصر التشبيه وهى الطعام والمهل والغلى والحميم، كلها تلائم تسمية السورة بـ" الدخان"٠

وتشبيه طلع شجرة الزقوم فى آيتى الصافات والدخان يستوعب صورتين من صور هذا الطلع ، فآية الصافات تشبه طلعها وهو لا يزال قائما عليها، وآية الدخان تشبهه طعاما بعدما استقر فى البطون كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم، ففى التشبيه الأول تقبيح منظره بجعله كرؤوس الشياطين، وفى التشبيه الثانى تقبيح أثره فى بطن آكله ٠ تشبيه الصافات مَعْنِيٌّ بوصف شكل الطلع من شجرة الزقوم لعناية السياق قبله بوصف شذوذ منبتها لأنها " تخرج فى أصل الجحيم"، وكلاهما مناسب لوصف النُّزُل وهو ما يُعّدُّ للإقامة والنزول "أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ" (الصافات٦٢) ، وأول ما يُعْتَنى به فى النُّزُل وصف المكان المعد لذلك ؛ ولهذا عُنِيَت الآيات فى تشبيه الصافات بذلك، فوصفت منبت الشجرة " أصل الجحيم " ، ووصفت شكل الطلع ولم تصف طعمه ولا أثره فى البطون " طلعها كأنه رؤوس الشياطين"، ثم جاء أمر الأكل تبعا لذلك ، فجاء مؤخرا وخاليا من التشبيه " فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٠ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ "(الصافات ٦٦ ،٦٧) ، وهذا الترتيب فى التقديم والتأخير والعناية بوصف الشكل لابوصف الطعم أو الأثر فى البطن جاء على وفق ما يقتضيه وصف "النُّزُل " الذى استهل به سياق التشبيه فى آية الصافات ٠

وأما آية الدخان فهى معنية بتشبيه طلع تلك الشجرة حين يصير طعاما يستقر فى البطن، وهذا لم يشبه فى آية الصافات ، فآية الدخان حلقة تتمم ما ذُكِرَ هناك وتأتى بعده؛ ولذا لم تتجه إلى وصف الشكل ٠

وإذا كان جذر السياق فى تشبيه آية الصافات هو فُرْقَانُ ما بين تقليد الآباء فى الضلال والتحرر من رِبْقَة هذا التقليد الأعمى، فإن جذر السياق فى تشبيه سورة الدخان هو نزع سلطان العلو والكبرياء فى الأرض بغير الحق والتهكم بأولئك العالين المستكبرين وإهانتهم، وتأمل عناية التشبيه بنوعى العذاب الواقع عليهم فى جهنم: العذاب الحسى بالطعام الذى يغلى فى البطون كغلى الحميم، وبالأخذ والعتل إلى سواء الجحيم ، وصب عذاب الحميم فوق رؤوسهم،

والعذاب النفسى بالسخرية منهم والاستخفاف بهم والتهكم فى قوله جل شأنه "ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٠ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ " ؛ فجمع سياق التشبيه الإهانة بالعذابين الحسى والنفسى ٠

وهذا الجذر – وهو نزع سلطان العلو والكبرياء فى الأرض بغير الحق – ضربت السورة له مثلا قبل التشبيه بفرعون العالى المسرف المتكبر ، قال تعالى " وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ٠ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ٠ وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ " الدخان ١٧ – ١٩) وقال تعالى " وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ٠ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ " (الدخان ٣٠ ، ٣١) ، وهذا النموذج البشرى العالى المسرف المتكبر هو الذى يقال له يوم القيامة " ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٠ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ"، وبهذا تنسجم الآيات المحيطة بالتشبيه من قبله ومن بعده ٠ والله أعلم ٠

٣ – تشبيه الماء الذى يشربه أهل النار

شبه القرآن الكريم الماء الذى يشربه أهل النار بالمهل يشوى الوجوه، فى قوله تعالى فى سورة الكهف " وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً " (الكهف٢٩) ، والمُهْلُ الزيت العكر المغلى ٠

سياق التشبيه هنا يظهر الظالمين فى النار وقد أحاط بهم سرادقها ، أى أنهم محبوسون فى النار حبسا لا فكاك لهم منه ولا مهرب ؛ لأن النار محيطة بهم كما يحيط السرادق بما ضرب عليه ،

وجاءت جملة التشبيه بعد هذا الهول الرعيب مفتتحة بـ " إنْ " الشرطية فى قوله " وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ " ، والتعبير بـ " إنْ " يفيد الشك فى صدور الاستغاثة منهم ، مع أن صدورها ممن هو مُبْتَلَعٌ فى جوف

النـار أمـرٌ محقَّـق ، فكـان السـياق يتطلـب " إذا " لتفيـد تحقـق صـدور هـذه الاسـتغاثة، ولكـن " إن " أفـادت يأسـهم مـن أن يغـاثوا ؛ لأن العـذاب المحـيط والهول المفزع لا ينبـىء عن غوث ، فلمـا جـاء جـواب الشـرط " يُغَاثُوا " كـان كأنه أحيا هذه القلوب اليائسة وبعث الأمل فى الغوث والنجاة من هذه النار أو تخفيف عذابها على الأقل ، ولاحظ بنـاء الفعل للمفعول بإخفاء الفاعل وعدم تحديده ، لصـرف العنايـة إلـى أن هَمَّهُم أن يكـون هنـاك غوثٌ بصـرف النظـر عـن المُغِيْـثِ مَـنْ هُـوَ ؟ ولاحـظ هـذا الارتقـاء فـى التصـوير ، اسـتغاثة مغلفـة باليأس فـى تحققها ، ثم المفاجأة بوقوع الإغاثة فـى قولـه " يُغَاثُوا "، ثم تحقيق الطمـع فـى هذه الاسـتغاثة حين جعلها " بِمَـاء " ، والمـاء ضد النـار ، فأصـبح الغوث والنجاة من هذه النار قاب قوسين أو أدنـى ، وبهذا يكون المشبه وهو المـاء أرقـى درجـة فـى هذا المقام ، فهو الغوث والنجـاة والأمـل ، وهـو مُحَطِّمُ اليأس المحيط بقلوبهم إحاطـة النـار بهم ، فالمـاء فـى هذا السياق هو العمدة ، وهو معقد المعنى، ثم جاء تشبيه هذا الماء ليضع نهايةً لهذا الأمل المتصاعد، وهاهى المفاجأة بعد كاف التشبيه " يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ"، فتحطم الأمل وحط هذه النفوس من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، هكذا بكلمـة واحدة "كَالْمُهْلِ" تصـور بحركـات أصـواتها ذلـك الجـذب العنيـف مـن أعلـى عليـين، والضـمة علـى الميم التـى هـى رأس الكلمـة تصـور ذلـك الارتفـاع العـالى، ثـم سكون الهاء يعطى صمت النفوس التى كتمت أنفاسها ترقبا لتحقق ذلك الأمل، وأخيرا هذه اللام الصاعدة السافلة التـى قذفت بهم من أعلاها إلـى أسفل قعرها السافل، فمَثَّلَتْ حركاتُ الكلمة حركاتِ النفوس ورحلة المعنى قبلها أبرع تمثيل.

والمشبه بـه وهو المُهْل كان كافيا ؛ لأنـه حط النفوس من علياء أملها إلـى وهـاد الخيبـة واليـأس ، إلا أن السـياق راعـى مـا قبـل المشـبه مـن تـدرج وحركـة تمتلـىء بهـا النفوس حتـى تعلقت بـأدنى أمـل " مـاء " هكذا بـالتنكير ، وحسـبها أنـها وجدت مـاءً أىَّ مـاء يطفـىء لظـى هذه النـار أو يخفف من عذابها ، ولما بُنِىَ المشبه على التدرج بُنِىَ المشبه به عليه أيضا، فلم يكتف فى وصف الماء

بأنه "كالمُهْلِ"، بل وصف بجملتين أخريين، الأولى "يَشْوِي الْوُجُوهَ"، والمقصود – والله أعلم – أنه يشوى أجسادهم كلها، قال الرازى "وخص الوجوه لأنها موضع الصيانة والعزة والإباء، ولملاءمة حال أولئك الظالمين ؛ لأنهم أعرضوا عن الإيمان واختاروا الكفر أنفة وكبرياء ، ولم يقبلوا الحق لأجل أن الذين قبلوه فقراء ومساكين " انتهى كلامه ٠ إن هذه الوجوه المُشْمَخِرَّة المتكبرة تُشْوَى فى نار جهنم بماء كالمُهْل ، وهذا مناسب جدا ، وفى التعبير عن الأجساد كلها بالوجوه مجاز مرسل علاقته الجزئية ؛ هذا الجزء – وهو الوجوه – كان موضع العزة والكبر والإعراض والاستهزاء والسخرية من عباد الله المؤمنين ؛ ولذا ركز عليه القرآن الكريم فى سياق العذاب كما فى هذه الآية ، وكما فى قوله تعالى "أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (الزمر ٢٤) ٠ والجملة الثانية: "بِئْسَ الشَّرَابُ" أى بئس الشراب ماء كالمهل يغاثون به، ولم يرد ذكر أن هذا الماء للشرب فى الآية كلها إلا فى هذه الجملة ٠

ومن التدرج فى التشبيه الانتقال من الماء إلى " المهل " إلى ذكر مايفعله بالوجوه من عذاب فظيع لا يطاق فى قوله "يشوى الوجوه " ٠ ولاحظ هذا التناسب فى مجىء السخرية قبل التشبيه وبعده ، وذلك على طريق المشاكلة فى قوله " يغاثوا " فالأصل أن هذا الماء ليس إغاثة بل هو عذاب فوق العذاب، وقال " يغاثوا " لمشاكلة قوله قبله "يستغيثوا"، وهذه المشاكلة صورت أنهم أخذوا عين ما طلبوا وأُعْطُوا نفس ما سألوا؛ ليستحكم نسج الكلام فى الإبانة عن إيهام أنهم أُغِيْثُوا ٠ وأما السخرية بعد التشبيه ففى قوله " وساءت مرتفقا "، ذكر العلامة الزمخشرى أن المرتفق المتكأ من المرفق، وجاءت هنا مشاكلة لقوله قبلها فى حق أصحاب الجنة "وحسنت مرتفقا"، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء ٠

التشبيه بالمهل فى القرآن الكريم:

جاء التشبيه بالمهل فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع ، كلها من السور والآيات المكية ، وهى على وفق ترتيب المصحف :

١ – " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً "(الكهف٢٩) ٠

٢ – " إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ٠ طَعَامُ الْأَثِيمِ ٠ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٠ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ " (الدخان٤٣ –٤٦) ٠

٣ – "يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ٠وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ"(المعارج ٨،٩) ٠

الموضعان الأول والثانى من مشاهد عذاب النار ، والثالث من تصوير مايحدث للسماء يوم القيامة ، فهو سابق فى ترتيب الأحداث ، لأن يوم القيامة سابق لما يكون بعده من حساب وجنة أو نار ، أما من حيث ترتيب النزول فموضع سورة الدخان أول الثلاثة لأنها رقم ٦٤ فى ترتيب النزول ، يليه آية الكهف ، لأن سورة الكهف رقمها ٦٩ فى ترتيب النزول ، ثم موضع سورة المعارج لأن رقمها ٧٩ فى ترتيب النزول ٠

وموضع سورة المعارج اكتفى بتشبيه السماء يوم القيامة بالمهل دون أن يُتْبَعَ المُهْلُ بصفةٍ كما فى الموضعين الأول والثانى ، وهذا يتناسب من حيث البناء التركيبى مع قوله تعالى بعده " وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ " ، فالمشبه به فى تشبيهى سورة المعارج لم يقيد فى كل منهما بصفة ، وقيد "العهن" ، وهو الصوف ، بأنه منفوش فى سورة القارعة " يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ٠ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ" (القارعة ٤ ، ٥) ، وتقييد الفراش بالمبثوث والعهن بالمنفوش فى سورة القارعة اقتضاه ما ذكر فى سياقها من الوزن يوم القيامة فى قوله تعالى " فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٠ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٠ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ " (القارعة ٦ – ٩) ، ولم يرد ذكر الوزن فى سورة المعارج ولذا لم يقيد العهن فيها بالمنفوش ٠

والمهل فى عذاب أهل النار له أوصاف وصور، فهو ماء كالزيت المغلى يشوى الوجوه ، وهو شراب موصوف بأنه بئس الشراب ، وهو يغلى فى البطون غليا كغلى الحميم ، كثرت أوصافه لكثرة أهواله ٠ وفى تشبيه سورة الكهف

نرى الشراب كالمهل، وفى تشبيه سورة الدخان نرى الطعام كالمهل ، فالمهل حاضر أمام أهل النار فى طعامهم وشرابهم، وبئس هو من طعام أو شراب !!

٤- تشبيه شُرْب أهل النار

شبه القرآن الكريم شرب أهل النار بشرب الهِيْم فى قوله تعالى فى سورة الواقعة " ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ۝ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ" (الواقعة ٥١ – ٥٦)۝

المشبه فى الآية شرب الضالين من الحميم الحار البالغ النهاية فى الغليان، والمشبه به شرب الهيم ، وهى الإبل العطاش ، وقيل فى وصفها إنها يصيبها داء فلا تروى من الماء ، واحدها أَهْيَمُ ، والأنثى هَيْمَاءُ ، كذا جاء فى اللسان لابن منظور ، وذكر الفيروزآبادى فى بصائر ذوى التمييز أن الهُيَامَ فيه معنى الجنون ، وكأن شربهم فى النار يشبه شرب الإبل التى أصابها الجنون۝ والهيم صفة لموصوف محذوف ، والتقدير فشاربون شربا كشرب الإبل الهيم، وحُذِفَ الموصوف وهو "الإبل " لينصب التشبيه على الصفة وهى " الهيم " لدلالتها على مبالغتهم فى الشرب مع سوء منظرهم وهم يشربون ذلك الماء السىء، وإذا كان شربهم أياه وهو على هذه الحالة كشرب الهيم ، دل على بلوغ العطش بهم كل مبلغ ؛ لأنهم يشربون من ماء بلغ الغاية فى الغليان، ثم لايكتفون بشرب ما يذهب ظمأهم بل يفرطون فى الشرب منه مع سوئه۝ والله تعالى أعلم ۝

ووراء هذا التشبيه معان كثيرة، منها:

١- تقبيح صورة الشارب حين يقترن شربه بشرب الإبل، ويكون بين هيئة شرابه وشرابها قُرْبَى ونسب ۝

٢- كثرة ما يشرب من ماء الحميم؛ لأن التشبيه قيد الإبل بأنها "هِيْم" أى عطاش، فتشرب ملء بطونها ، فكذلك المكذبون الضالون يشربون من الحميم ملء بطونهم ۝ ولا يخفى ذلك التناسب اللطيف فى الاتحاد فى إفادة

الكثرة فى الأكل من شجرة الزقوم ، مع أنها لا تؤكل ، والشرب من ماء الحميم ، مع أنه لا يُشْرَب ، فالتناسب بَيِّنٌ جدا بين قوله " فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ " (الصافات٦٦) فى جانب الأكل من شجرة الزقوم ، وقوله جل شأنه " فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ " الواقعة ٥٥) فى جانب الشرب من ماء الحميم ، كلاهما دالٌّ على الكثرة وملء البطون من شىء قبيح سىء لا يؤكل ولا يشرب ، ومما يقوى معنى الكثرة التعبير باسم الفاعل الوارد فى هذا السياق ست مرات (الضالون – المكذبون – لآكلون – فمالئون – فشاربون – فشاربون) ، واسم الفاعل دال على الثبوت والدوام، يعنى أن أكلهم من شجرة الزقوم وملء بطونهم منها وشربهم عليه من الحميم كل ذلك دائم وملازم لهم فى النار؛ لأنهم كانوا فى الدنيا ملازمين للضلال والتكذيب ثابتين عليهما ، وإذا كان السياق ذكر اسم الفاعل فى جانب ضلالهم وتكذيبهم مرتين فى قوله (الضالون – المكذبون) ، فإن عقابهم فى الآخرة أكبر وأفظع ؛ ولذا ذُكِرَ اسم الفاعل فى جانب عقابهم أربع مرات فى قوله (لآكلون – فمالئون – فشاربون – فشاربون) ، والتعبير باسم الفاعل فى " فمالئون " يدل على أنهم جادون مجتهدون فى ملء بطونهم من الأكل من شجرة الزقوم ، فكيف يملأون بطونهم بعد ذلك بالشرب من ماء الحميم مع أن بطونهم ملآنة ؟ الآيات تصور بطونهم بأنها تُمْلأ مع أنها ملآنة ، فبطونهم تملأ من شجرة الزقوم حتى لامساغ فيها ، وتملأ بماء الحميم مباشرة بعد ملئها بشجرة الزقوم وبدون مهلة ، والفاءات الثلاثة فى " لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ " تدل على هذه الصورة الغريبة السريعة المتعاقبة بلا مهلة ، فهم ما إن يجدوا شجرة الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم بسرعة ، وكأنه لا زمن بين وجودهم شجرة الزقوم وملء بطونهم منها ، ولا زمن بين ملء بطونهم منها وشربهم عليه من الحميم ۝۝ وهكذا تتعاقب هذه الأفعال تعاقبا سريعا متلاحقا لتدل على هذه الصورة الغريبة ، وكأنهم فى مسابقة فى

سرعة الأكل والشرب، مع أن المأكول بئس المأكول والمشروب بئس المشروب !!

٣- أن تشبيه شربهم فى النار بشرب الإبل الهيم يتناسب مع تشبيه الذكر الحكيم لهم فى الدنيا بالأنعام فى الضلال وعدم الفقه والتدبر ، كما فى قوله تعالى " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّيَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (الأعراف١٧٩)، " أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً " (الفرقان٤٤) ، فشربهم فى النار يشبه شرب الأنعام التى كانوا يشبهونها فى الدنيا، فتشبيه شربهم فى النار بشرب الهيم امتداد لتشبيهم بالأنعام فى الدنيا.

المحور الثالث

تشبيه الجنة والنار فى تذييل الآيات

فى القرآن الكريم آيات تصف ما أعد الله تعالى للمؤمنين فى الجنة من النعيم ، وما أعد للكافرين فى عذاب الجحيم ، وفى تذييل الآيات يأتى التشبيه بالكاف الداخلة على اسم الإشارة " ذلك " فيشبه ما بعد " كذلك " بما يعود عليه اسم الإشارة من النعيم أو العذاب، فبعد النعيم نجد مثل قوله جل جلاله "كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ" (النحل ٣١)، "إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (المرسلات ٤٤)، وبعد العذاب نجد مثل قوله سبحانه " كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ" (فاطر ٣٦) "إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ" (الصافات ٣٤)، وهذا نمط من البيان يجرى أولاً على خلوه من التشبيه ، ثم يأتى التشبيه فى ختام الآية فيجذب المعنى إليه ٠

وهذه المواضع فى الذكر الحكيم كثيرة جدا ؛ منها فى سياق آيات النعيم قوله تعالى " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ٠ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٠ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ٠ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (المرسلات ٤١– ٤٤)، لم تجر هذه الآيات أولاً على أسلوب التشبيه، بل جرت على ذكر ما للمتقين من نعيم فى الجنة من ظلال وعيون وفواكه ممايشتهون ، فلما تم ذكر النعيم بأوصافه جاء التشبيه فى قوله تعالى "إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"، أى إنا نجرى المحسنين جزاءً مثل ذلك الجزاء٠

واسم الإشارة الذى دخلت عليه كاف التشبيه " كذلك " يشير إلى قصة المشبه به كاملة ، ويحكم ربط التذييل بما قبله من الآى، بحيث لا تستقل آية " إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " عما قبلها لتوقف فهم المراد من اسم الإشارة على معرفة المشار إليه ٠

وبناء التشبيه فى هذه الآية ونظائرها له نمط خاص ؛ لأن الأصل فى كاف التشبيه أن يكون قبلها المشبه وبعدها المشبه به كما فى قولنا : زيد كالأسد ، إلا أنها فى هذه الآية ونظائرها تصدرت الجملة ووَلِيَها الطرفان: اسم الإشارة

الذى يشير إلى المشبه به ويحيل عليه ، ثم المشبه وهو جزاء المحسنين فى قوله تعالى " نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ "، فأصل التشبيه بالكاف أن يقال : إنا نجزى المحسنين جزاء كهذا الجزاء المذكور بأن يكونوا فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون وبأن يقال لهم تكريما : كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، وخولف هذا الأصل فجيء بالكاف فى صدر التشبيه قبل المشبه والمشبه به ؛ لأنها لو أخرت عن الصدارة وجاءت فى موضعها بين الطرفين لكان فى ذلك إجحاف بها وبالتشبيه ؛ لأن نسق الآيات من أول قوله "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ" لما خلا من التشبيه دل على أن التشبيه ليس عماده ، فلما جاء التشبيه فى قوله "إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" أعاد بناء ما مضى من الآيات على أنها على نية التشبيه ، فكان خليقا به بعدما تأخر عن موضعه فيما مضى أن يكون فى صدر جملة التشبيه؛ لأنه الحرف الذى غير مجرى الكلام ، فوُضِعَ فى أُنُفِ الجملة مخالفا عادته ومفارقا أصله لمراعاة ما تقتضيه هذه الحال الجديدة ٠

ومن هذه المواضع فى سياق آيات العذاب قوله تعالى " وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ٠ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ" (فاطر ٣٦، ٣٧) ٠

التشبيه فى قوله " كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ " أى مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور، فشبه جزاء كل كفور على سبيل العموم بجزاء الذين كفروا المذكور فى الآيات؛ لأن الكفر هو سبب ذلك الجزاء ؛ فلما تشابهوا فى الكفر تشابهوا فى الجزاء عليه ، وقد صرح الزمخشرى بذلك فى آية سورة الصافات "إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ" (الصافات٣٤) ، فالمعنى – كما قال – " إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم؛ يعنى أن سبب العقوبة هو الإجرام، فمن ارتكبه استوجبها" انتهى كلامه ٠

المشبه مفرد وهو جزاء كل كفرو ، والمشبه به وهو جزاء الذين كفروا يحيل إلى صورة مركبة من عناصر تصور الكافرين وهم أحياء فى النار يعذبون لا يموتون فيستريحون ولا يخفف عنهم من عذابها ، وهذا مشهد رعيب يملأ النفوس الحية الحساسة فزعا ووجلا لتفر إلى الله جل جلاله ، ويصاحب هذا العذاب الدائم صوت اصطراخهم فى النار يَدْعُونَ رَبَّهُم أن يُخْرِجَهُمْ من هذا العذاب وأن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحا ٠٠ وهذا المشهد فتح باب التشبيه فيه الكاف الداخلة على اسم الإشارة " ذلك " ؛ فالصورة من تشبيه المفرد بالمركب ٠

المحور الرابع

ضرب المثل بالجنة والنار فى القرآن الكيم

ضُرِبَ المَثَلُ بالجنة والنار فى الذكر الحكيم مرتين :

١- قوله تعالى فى سورة الرعد " مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ" (الرعد٣٥) ٠

٢- قوله تعالى فى سورة محمد " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ " (محمد١٥) ٠

الآيتان واردتان فى سياق الاحتجاج على الكفار فى سبك بيانى عجيب معجز ، قال عنه الزمخشرى فى الكشاف " هذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التى ورد عليها منادٍ على نفسه بلسان طَلْقٍ ذَلْقٍ: أنه ليس من كلام البشر، لمن عَرَفَ وأَنْصَفَ من نفسه" ، ونوهت بكلمة الزمخشرى هذه لأنها توقظ العقول إلى باب من البحث البلاغى لما تتكشف أسراره بَعْدُ ، وهذا موضوع بحث جيد يقوم على تتبع أساليب الاحتجاج فى الذكر الحكيم وخصائص الاحتجاج كل مقام ، وكيف يباين حجاج القرآن الكريم للكفار حجاجه أهل الكتاب من اليهود والنصارى ٠٠ إلخ ، وهذا باب من الدرس يوسَّع فيتسع ، وللتدبر فيه ميدان واسع رحيب ٠

ولم يفصل الزمخشرى هذا المسلك البيانى العجيب فى آية الرعد ، مع أنها مقدمة فى التفسير على آية سورة محمد ، وفى هذا تنبيه للباحث على أن لا يقصر نظره فى تفقد مواضع ورود بعض الأساليب فى الذكر الحكيم على ما قاله المفسر فى أول موضع للأسلوب فى الكتاب العزيز ، ظانا أن المفسر لا

يأتى فى مواضع وروده بعد ذلك بجديد أو أنه أفرغ طاقته واستنفد ماعنده فى أول موضع ، ثم لم يكن منه بعد ذلك إلا التكرار أو الاختصار أو الإشارة والإحالة على الموضع الأول لقياس بقية المواضع عليه ٠

أما آية سورة الرعد فسياقها قوله تعالى " أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٠ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ ٠ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ" (الرعد ٣٣ – ٣٥).

الآيات فى شأن الكفار الذين جعلوا لله – تعالى – شركاء ، تُنْكِرُ عليهم ذلك بأسلوب الاستفهام الإنكارى فى قوله " أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ٠٠"، والاستفهام للإنكار على من يُشَبِّهُ الحق سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت بمن ليس كذلك من الأصنام التى جعلها الكفار شركاء لله سبحانه٠

وفى الآيات تشبيهان، الأول : تشبيه من هو قائم على كل نفس بماكسبت بمن ليس كذلك من الأصنام التى جعلها الكفار شركاء لله سبحانه ، وهو تشبيه مقلوب؛ لأن الأصل أن يشبه غير الخالق الذى لايملك شيئا بالخالق الذى يملك كل شىء ٠ والثانى : تشبيه من يسوى بين الحق جل جلاله القائم على كل نفس بما كسبت، والأصنام التى جعلوها له شركاء ، بمن يسوى بين المنعم فى الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار ومن يُعَذَّبُ فى النار ، ووجه الشبه ضلال كل منهما وعظيم خطئه.

والمشبه به مُقَدَّرٌ فى قوله " أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ " حتى تتم المعادلة ، وقدره الطبرى بقوله "كمن هو هالك بائد لا يسمع ولايبصر ولا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا لنفسه ولا لغيره"، وقدره جار الله الزمخشرى بقوله " كمن ليس كذلك " ، والمقدر كالمذكور ٠

وأما آية سورة محمد فسياقها قوله تعالى " أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ۝ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ" (محمد١٤، ١٥)، الآية الأولى استفهام لإنكار التسوية بين من كان على بينة من ربه ومن زُيِّنَ له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ؛ لأن التسوية بينهما خطأ كبير، ومن بديع الاحتجاج فى هذه الآية أن الله جل جلاله جعل من كان على بينة من ربه مشبها ، ومن زين له سوء عمله مشبها به ؛ جريا على وفق اعتقاد الكفار وظنهم – لِكِبْرِهِم وفسادِ رأيهم – أن الرسول ﷺ والذين آمنوا معه ليسوا أهلا لأن يشبهوا بهم فضلا عن أن يكونوا أصلا فى التشبيه ؛ ولهذا قلبت الآية الكريمة التشبيه، ولو جاء على الأصل لقيل : أفمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم كمن كان على بينة من ربه ؟ وإيثار ما جاء عليه النظم الشريف دل على أن هؤلاء الكفار فى جهل مركب، جهلوا أولاً حين شبهوا أنفسهم بالرسول ﷺ، وجهلوا ثانيا – وهو جهل أشد – حين جعلوا أنفسهم أصلا فى التشبيه وجعلوه ﷺ مشبها أى ملحقا بهم فى التشبيه ، ونظير هذه الآية فى هذا المسلك قوله جل وتقدس " أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ " (النحل١٧)، والأصل : أفمن لا يَخْلُقُ كمَن يَخْلُقُ ؟ ثم أكملت الآيات الحجاج بأسلوب التشبيه أيضا ، فشبهت من يسوى بين الرسول ﷺ وهو على بينة من ربه، والكفار الذين زين لهم سوء أعمالهم واتبعوا أهواءهم ، بمن يسوى بين المُنَعَّم فى جنة " فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ " ، وبين المُعَذَّب الذى هو " خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ " ، الذى يسوى بين الرسول صلى الله عليه وسلم والكفار كالذى يسوى بين المنعم فى الجنة والمُعَذَّب فى النار ، فكلاهما فى الخطأ والضلال

سواء، وبهذا نقلت الآيات التشبيه من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة بلا مهلة، وكأنه لا فاصل بينهما ، ليرى من يُشَبِّهُ سَيِّدَ الهُداة المُهْتَدِين بالكافر الذى هو فى ضلال مبين خطأه مجسدا محسوسا نصب عينيه؛ وحَرِيٌّ بمَنْ عُرِضَتْ عليه الحقائقُ هذا العرض أن يراجع نفسه ٠

وقام التشبيهان على أسلوب التضاد والمقابلة ، التضاد فى التشبيه الأول بين من كان على بينة من ربه ومن زين له سوء عمله ؛ لأن من زين له سوء عمله واتبع هواه ليس على بينة من ربه ، والمقابلة فى التشبيه الثانى بين من هو فى الجنة ومن هو فى النار ، وبين أنهار الجنة التى يشرب منها من كان على بينة من ربه ، وماء الحميم الذى يقطع أمعاء المعذبين فى النار ٠ وذكر التشبيه فى كل من طرفى المقابلة ما يفسر محذوفا فى الطرف الآخر ، فذكر فى المشبه به من هو خالد فى النار وحذف ما يقابه فى المشبه وهو الخالد فى الجنة ؛ إذ التقدير فى قوله " مثل الجنة " : مثل الخالد فى الجنة ؛ حتى تصح مقابلته بالخالد فى النار، ولكن لِمَ حذف المنعم الخالد فى الجنة وذُكِرَ المعذب الخالد فى النار فى المشبه به ؟ لعل فى ذكر المعذب الخالد فى النار استحضارا له وهو واقف فى النار خالداً يسقى من حميمها وتتقطع أمعاؤه، أما المنعم فى الجنة فإنه غاب هناك فيها بين أنهارها يشرب من أنهار من ماء غير آسن وَأَنْهَارٍ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٍ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٍ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ، فحسبك أن تنظر إلى ما ينعم فيه من أنهار وثمار ومغفرة وقرب من الله جل وعلا٠ ولا يخفى ما فى التصريح بالخلود فى النار فى جانب المعذب من زيادة الهول وفظاعة العذاب؛ والسياق يقتضى ذلك ليكون صوت الزجر والوعيد لمن يسوى بين المهتدى والضال عاليا جهيرا ٠ وعبر بـ" كل " فى قوله جل وعلا "وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" ليتناسب تنوع الثمار مع تنوع الأنهار ٠ وأخرت المغفرة عما سبقها من الأنهار والثمار تدرجا من الأدنى إلى الأعلى؛ فمغفرة ربهم

أعلى من ذلك النعيم كله؛ لأن مغفرته من رضوانه ، ورضوان من الله أكبر من كل نعيم ، أما الكافر فمحروم بكفره من مغفرة الله تعالى ورضوانه ٠

وآيتا ضرب المثل بالجنة والنار فى سورتى الرعد ومحمد بينهما كثير من التشابه والتوافق، فكلاهما استهل بلفظ " مَثَّل " للدلالة على الصفة العجيبة الشأن؛ لأن التسوية بين المعبود بحق سبحانه والمعبود بباطل أمر فى غاية الغرابة والعجب؛ فناسبه استعمال كلمة " مَثَّل " التى تستعمل فى الأمر الغريب العجيب، وكذا أمر التسوية بين الهادى البشير صلى الله عليه وسلم الذى هو على بينة من ربه، وبين من زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم، وهم الكفار، أمر غريب عجيب ٠

وكلا الآيتين أوثر فيها أن يكون "المتقون" هم الموعودين بالجنة، حيث قال "مثل الجنة التى وعد المتقون" ، وكان يكفى فى المقابلة أن يقابل الكفار بالمؤمنين ، فيقال فى الموضعين : مثل الجنة التى وعد المؤمنون، وإيثار المتقين فى السياقين فى غاية التلاؤم للسياق المنادى ببطلان التسوية بين من يُشَبِّهُ الحق – جل جلاله – بالأصنام ، ومن يُشَبِّهُ الرسول ﷺ بالكفار، فكان لزاما أن يؤتى فى ضرب المثل بالمتقين؛ لأنهم فى أعلى مراقى الإيمان؛ ليكون تشبيههم تشبيه تسوية بالكفار الذين هم فى أحط الدركات أمرا ظاهر الفساد والنكران ٠

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	مقدمة	١٣
٢	**المحور الأول:** تشبيهات الجنة فى القرآن الكريم	١٥-٣٧
٣	١- تشبيه سعة الجنة	١٦
٤	٢- تشبيه نساء أهل الجنة	٢٠
٥	٣- تشبيه وِلْدَان أهل الجنة	٢٩
٦	**المحور الثانى:** تشبيهات النار فى القرآن الكريم	٣٨-٥٧
٧	١- تشبيه شرر النار	٣٩
٨	٢- تشبيه طعام أهل النار	٤٣
٩	٣- تشبيه الماء الذى يشربه أهل النار	٥١
١٠	٤- تشبيه شُرْب أهل النار	٥٥
١١	**المحور الثالث:** تشبيه الجنة والنار فى تذييل الآيات	٥٨-٦٠
١٢	**المحور الرابع:** ضرب المثل بالجنة والنار فى القرآن الكريم	٦١-٦٥